كلمات في العقيدة

الكتاب التاسع

د. أمير الحداد

كلمات في العقيدة


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله).. وأمره بتبليغها وبيانها للناس كافة... فبلغ الرسالة على أتم وجه وأدى الأمانة على أكمل نهج.. وأتم ما بدأه إخوانه الأنبياء من قبله... ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ (الأنبياء).

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. شهادة حق لا ريب فيها وأسأله تعالى أن يثبتني عليها حتى الممات وينفعني بها بعد الممات.

وأصلي وأسلم على رسوله محمد بن عبد الله صلاة تؤدي أمر الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ (الأحزاب). وتستوفي أجر من أدى هذه الشعيرة العظيمة.

أما بعد.. فهذا هو الكتاب التاسع من سلسلة «كلمات في العقيدة» التي أسأل الله أن يبارك فيها ويجعلها سبباً لنفع من يقرأها وقد اشتمل هذا الجزء على قضايا كثيرة في باب الأسماء والصفات اجتهدت أن أبسطها لعامة الناس رغم عمقها ودقتها وذلك أن تحقيق توحيد الأسماء والصفات لا غنى لمسلم عنه ومع ذلك يتجنب الحديث عنه كثير من الدعاة فضلاً عن تفصيله وبيانه لعامة المسلمين.. ولما كان من أركان

الإيمان فقد تناولته بأسلوب حواري قريب من الجميع سائلاً المولى عز وجل أن أكون وفقت إلى الصواب في هذا الباب..

وكذلك اشتمل هذا الجزء - كما في السابق - على أركان الإيمان الأخرى كالإيمان بالرسل والكتب واليوم الآخر والقضاء والقدر.

ولا شك أن هذا الاجتهاد فيه من النقص ما فيه.. ويشوبه من الخطأ الشيء الكثير.. لذا فإني سائل كل من وجد خطأ أو نقصاً ألا يبخل عليّ بالبيان والتوضيح لاستدراكه في الطبعات القادمة إن شاء الله وكذلك بالدعاء أن يغفر الله هذه الزلات والهنات.. وإلتزمت في هذا الجزء بألا أذكر آية إلا مبيناً مكانها في المصحف الشريف، ولا حديثاً إلا من كتب الحديث المحققة بفضل الله تعالى...

وأخيراً... فإن كاتب هذه الكلمات يسأل الله صادقاً أن يجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم لا رياء ولا سمعة وأن ينفعه به في حياته وبعد مماته..

وكذلك يسأل كل من قرأ شيئاً من هذا الكتاب أن يدعو الله له بالهداية للحق والثبات عليه.. حتى الممات.. والمغفرة والقبول بعد الممات...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د. أمير علي الحداد

صفر ١٤٣٢هـ - فبراير ٢٠١١م

للتواصل: amir122@yahoo.com

الشرك... والمشرك

بعد تناول إفطار خفيف وقبل صلاة العشاء بنصف ساعة جلست في زاويتي المعتادة في المسجد لا يسبقني إلا (بو عبدالله الصالح) يأخذ الزاوية الأخرى.

اقترب من مجلسي محمد... (شاب لم أتعود رؤيته في المسجد قبل رمضان... ولكن في رمضان لا أكاد أفتقده في أي فرض)... أدى السلام... أراد أن يجلس ليسألني... بادرته... بعد رد السلام:

ـ ليتك تؤدي تحية المسجد ركعتين قبل أن تجلس...

وبالفعل أدى التحية... وسلم مرة ثانية..

ـ لقد ذكرت في حديثك اليوم.. أن الحلف بغير الله شرك.. وأن دعاء غير الله شرك.. وأن الاعتقاد بأن الأموات ـ مهما كانوا ـ ينفعون أو يضرون والتقرب إليهم بالذبح أو النذر شرك...

ـ نعم... هو كذلك...

ـ ولكن... أوقعتني في قلق وحيرة... فإن كثيراً من زملائي الذين أدرس معهم في الثانوية يعتقدون بهذه الأشياء... ويتحدثون عنها صراحة... بأنهم يذهبون إلى ضريح السيد الفلاني... ينذرون له... ويتصدقون عنده... ويذبحون ويدعون صراحة.. يا فلان... لدي ابن مريض.. أسألك الشفاء... لدي حاجة... أسألك القضاء... فهل هؤلاء كلهم مشركون؟... وكيف أتعامل معهم؟...

ابتدرته بابتسامة أخفف عنه شدة الأمر.

ـ أنا تكلمت عن الشرك... وكنا نقرأ في باب الإيمان من كتاب موجز الفقه الإسلامي للشيخ التويجري (حفظه اللّه)..وكان الشرح لبيان الشرك حتى لا نقع فيه... أما الذين يعملون هذه الأعمال فأغلبهم يعملونها اتباعاً لآبائهم... وأجدادهم... ترعرعوا على هذه المفاهيم... وتربوا على هذه الأعمال... فيجب أن نسلك معهم مسلك الدعوة باللين والموعظة الحسنة... فنحن لا نتعلم هذه الأمور لنحكم على الناس... ونصنفهم إلى النار... وإلى الجنة... بل نتعلم حتى نتجنب هذه الأمور أولاً... ولنبين للناس ثانياً... ونصبر... ونستمر في دعوتنا باللين... والرفق... ومن لا يملك... العلم... والصبر... واللين والرفق... فلا ينبغي أن ينخرط في سلك الدعوة...

انفرجت أساريره... وظهر ارتياحه... تابعت حديثي...

ـ فيجب أن نفرق بين الشرك والمشرك... والكفر... والكافر... ونتجنب الحكم على الناس...

قاطعني... بأدب...

ـ وماذا عن الكتب التي تحتوي على الشرك... وتدعو له... وكذلك المنشورات والمطويات التي تنشر هذه الأمور؟

ـ نبين أن محتوى هذا الكتاب مخالف للعقيدة التي جاء بها الرسول صلى اللّه عليه وسلم والتي كان عليها آل بيت النبي صلى اللّه عليه وسلم... والتي كان عليها الصحابة رضي اللّه عنهم... وربما إذا اجتنبنا بعض الكلمات... واستخدمنا غيرها... يكون أنفع... وأبلغ... فكلما كانت

الدعوة برفق... كانت النتيجة أرضى... وأنت عندما تقوم بواجب الدعوة فإنما ترجو رضى الله والثواب من عنده... أي... احتساباً... وهذا هو دأب المؤمن... يعمل... ويحتسب الأجر من الله... سواء ظهرت نتيجة عمله... أم لم تظهر...

دخل المـؤذن... توجه مباشرة لرفع أذان العشاء... قلنا مثل ما قال...

ـ سؤال أخير... هل كل مشرك خالد في جهنم... لا يخرج منها أبداً؟!

ـ من مات على الشرك وقد قامت عليه الحجة ـ بعلم الله ـ فإننا لا نشك أنه خالد في النار... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ (النساء)... ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ (الزمر)... وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة... (**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**) (السلسلة الصحيحة) فلا نشك أن المشرك شركاً أكبر... خالد في نار جهنم لا يخرج منها.

لفظ (الكفر).. في الأحاديث

ـ أحاديث كثيرة أشعر أنها شديدة في ألفاظها مثل حديث.. «**أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا اؤتمن خان، وإذا خاصم فجر**» (مسلم) وحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**واللّه لا يؤمن، واللّه لا يؤمن، واللّه لا يؤمن.. من لا يأمن جاره بوائقه**» (مسلم) وأحاديث أخرى تصف من أتى عملاً بأنه كافر: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» (مسلم) «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إلا إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**» (مسلم).

ـ هذه الأحاديث ذكرها الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم، وذلك بعد أن ذكر كلمة جميلة في عقيدة أهل السنة والجماعة.. وهي: إن المسلم لا يكفر بالمعاصي.. وكل معصية وصفت بأنها (كفر) فإنها تبقى معصية ما لم يستحلها أو أنها من عمل الكفار فلا ينبغي لمسلم أن يتصف بها.

هذا كلامه بالمعنى طبعاً لا بالنص.

كنت وصاحبي في طريقنا لنبارك لأحد الإخوة زواج ابنه.

ـ وماذا عن حديث المنافق؟

ـ المعنى نفسه.. هذه خصال المنافقين؛ فلا ينبغي لمسلم أن يتصف بها.. وليس معنى الحديث أنه من كان مسلماً يصلي ويصوم ويوحد اللّه.. وفيه هذه الخصال.. أنه يصبح منافقاً خالصاً يستحق الدرك الأسفل

من النار.. بل فيه صفات المنافقين؛ ولا ينبغي لمسلم أن يتصف بها.. ومن كانت فيه خصلة يجب عليه أن يتخلص منها.. أما المنافق الذي يستحق «**الدرك الأسفل من النار**».. فهو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر.. هو الذي يقول: (أشهد أن لا إله إلا اللّه)، كاذباً.. هذا هو المنافق نفاقاً اعتقادياً يستحق معه الخلود الدائم في أشد العذاب.

اضطررنا أن نتوقف عند محطة الوقود لنتزود.

. **ونفي الإيمان؟**

ـ المعنى نفسه.. كقوله صلى اللّه عليه وسلم: «**واللّه لا يؤمن.. واللّه لا يؤمن.. واللّه لا يؤمن..**» (متفق عليه) ليس معناه أنه كافر.. بل معناه: لا يؤمن إيماناً ينجيه من العذاب.. أو إيماناً يدخله الجنة مع أول من يدخلها؛ وذلك لوقوعه في هذا الذنب العظيم.. وكذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم: «**لا يدخل الجنة.. عاق.. ولا نمام.. ولا مدمن خمر**» (حسنه الألباني) «**لا يدخل الجنة قتات**» (صححه الألباني) «**وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات، لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم**» (السلسلة الصحيحة).

قاطعني:

ـ ما هذا الحديث؟ أول مرة أسمعه.

ـ ألم تسمع قول الشافعي: كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي.. هذا الحديث صحيح.. أخرجه البيهقي وصححه الألباني.. ومعناه: لا

يدخلن ابتداء.. وهذا نفاق عملي إن لم يستحللن المعصية.. والغراب الأعصم هو أحمر المنقار والرجلين وهو نادر.. كناية عن قلة من يدخل الجنة من هؤلاء النساء كندرة هذا الغراب.

- سبحان الله وهل يتعظن؟

تابعت حديثي:

- وكذلك حديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**» (السلسلة الصحيحة) وفي المقابل: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة**» (متفق عليه) هذا يدخل الجنة بلا عذاب، أما الآخرون فأمرهم إلى الله: إما أن يغفر لهم.. وإما أن يعذبهم بما جنوا من ذنوب عظيمة.

هذه قاعدة عظيمة وهي عدم تكفير المسلمين بالمعاصي وإن وردت ألفاظ في الأحاديث تصفهم بالنفاق.. أو الكفر.. أو الحرمان من الجنة.. أو الخلود في النار.. كحديث من قتل نفسه.. فهذه كلها تُحمل على أنه يحرم من دخول الجنة مع من يدخلها دون عذاب.. ومع من يدخلها ابتداء.. وأصحاب المعاصي الذين يموتون ولم يتوبوا من معاصيهم تحت مشيئة الله: إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.. عذابه بعدله.. ومغفرته بفضله سبحانه.. ولكن لا يخلدون في النار كما يخلد الكافر والمنافق.. خلوداً أبدياً لا ينتهي.

قواعد في توحيد الأسماء والصفات (١)

منذ فترة وأنا حريص أن أقتني نسخة من رسالة الدكتوراة للأخ الدكتور وليد العلي.. طلبت إلى أحد تلاميذه أن يبلغه رسالتي.. لم أنل مطلبي... وغاب الموضوع عن ذهني لفترة... بعد صلاة عصر أحد أيام رمضان.. وبعد الدرس اقترب مني أحدهم.. بيده ثلاثة مجلدات كبيرة.. وكتيبات... أهدانيها بعد التحية والتعريف بأنه د. وليد العلي... شكرته وفرحت أيما فرح بهذه الهدية... انكببت على تقليب الرسالة... وضعت ملاحظات... تولدت لدي تساؤلات... كنت في رحلة صيد السمك بعد رمضان مع (عديلي) بو عبد اللّه...

- هل تعلم أن بعض أسماء اللّه مركب ولا يطلق منفرداً...

- ماذا تعني..؟

- أعني أن بعض الأسماء مفردة... مثل (**العزيز**)... (**الحكيم**) (**الغفور**).. وبعضها مركب...

- مثل (**الضار النافع**)... فلا تقول من أسماء اللّه (**الضار**)... بل (**الضار النافع**)... هو اسم واحد من الأسماء الحسنى... وهذا الاسم المركب معناه... مالك الضر والنفع...

- وماذا عن باقي الأسماء المركبة؟!

- مثل (**المعطي المانع**)... (**المعز المذل**)... وذلك أنها لم تأت مفردة وليست بمدح ولا ثناء إذا انفردت... فإنك إن قلت... يا ضار يا مانع.. يا

مذل... ليس في ذلك مدح ولا ثناء للّه عز وجل... بل يا من يملك الضر والنفع... يا من يعطي ويمنع...

ـ ولكن غالب أسماء اللّه الحسنى تطلق (**مفردة**)...

ـ نعم.. هذا صحيح... وكل اسم من الأسماء الحسنى المفردة فيه من صفات الكمال والثناء ما يغني عن غيره..

يقول ابن القيم رحمه اللّه تعالى: (**فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء فيها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق على اللّه سبحانه وتعالى إلا مقترنة**)... وهذه قاعدة جليلة في باب الأسماء والصفات...

ترك صاحبي انتباهه للصيد وانشد لنقاشنا...

ـ ولكن ذلك الحديث الذي يسرد تسعة وتسعين اسماً للّه عز وجل ـ وتجده في نهاية بعض المصاحف ـ يذكر هذه الأسماء على أنها مفردة.. نعم تجد الاسم وبعده ما يقترن به ولكن بتعداد الأسماء تجد أن (**الضار**) اسم و(**النافع**) اسم حتى تكمل تسعة وتسعين اسماً..

ـ أولاً... هذا الحديث لا يثبت إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم... ثم.. هذا من الخطأ في أسماء اللّه الحسنى أن تفرق بين الأسماء التي يجب أن تكون مقترنة... ولقد عدد ابن القيم تسعة وتسعين اسماً... باعتبار هذه الأسماء المقترنة اسماً واحداً...

أي (**النافع الضار**) اسم... (**المعطي المانع**) اسم... (**المعز المذل**)

اسم... وأوصل العدد إلى تسعة وتسعين... قفز صاحبي من مكانه... ليمسك بالسنارة التي كادت أن تقع في البحر جراء شدة سمكة قوية.. أمسكها... وكم كانت سعادته بالسمكة بعد أن أخرجها...

قواعد في توحيد الأسماء والصفات(٢)

من القواعد الأساسية في باب الأسماء والصفات (عدم تقديم العقل على النقل).

- وهل هناك تعارض بين العقل والنقل؟

- إن العقل الصحيح (المنطق السليم) لا يتعارض مع النقل الصحيح.. ولكن أهمية هذه القاعدة تأتي لتفاوت العقول.. وإصرار بعض الناس على منطقهم.. لأن العقائد لا تخضع للتجربة العملية.. لذا وجب وضع حد واضح للذين يتبعون منهج الكلام والفلاسفة.

- وكيف يمكن إقناع عامة الناس بذلك؟

- ابتداء.. لابد أن نعلم أن الله أرسل الرسل بالوحي من عنده حتى يبين للناس أمور دينهم.. وأولها العقيدة.. وكيفية الإيمان بالله عز وجل.. فجعل سبحانه إرسال الرسل هو الحجة ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء) فالعلم هو ما جاء به الرسل وهو الحجة على العباد وهو الذي سيحاسبون عليه يوم القيامة.. فالواجب على العباد كلهم اتباع ما جاءت به رسلهم.. وهكذا بالنسبة لهذه الأمة يسعها ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في باب العقيدة.. وفي تفصيل توحيد الأسماء والصفات لا يحتاجون إلى شيء بعده...

- بهذا «ينسف» منهج أهل الكلام والفلسفة.. ومن أفنوا أعمارهم في النظر والتفكير والتحليل..

- إن من يفعل ذلك من أهل الإسلام، إنما يضيع عمره فيما لا حاجة له به.. فقد كفانا كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشقة البحث عن الحق.. فجاء القرآن بأكمل عبارة.. وجاءت السنة بأكمل التفسير.. فما الحاجة للبحث في كتب أهل الفلسفة.. ومن ثم إعمال العقل في القياس.. ويضل المرء عن الصراط المستقيم..

- إن الأمر مقبول في العبادات، أما في العقائد فأهل الفلسفة يجدون صعوبة في قبول الأمر.

كان صاحبي يناقشني لا تأييداً لأهل الفلسفة والكلاميين، وإنما لمناقشة كل ما يمكن أن يجادلوا فيه.

- إن القبول برسالة محمد صلى الله عليه وسلم.. يتضمن قبول تفسيره لأسماء الله وصفاته وإخباره عنها.. والانقياد في هذا الباب.. كالانقياد في باب العبادات والحلال والحرام.. فكما أننا لا نتلقى الحلال والحرام إلا من الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نرضى مصدراً آخر لذلك.. كذلك نتلقى إخباره عن صفات الله عز وجل وأسمائه.. ولا نجد في صدورنا حرجاً من أي شيء صح عنه صلى الله عليه وسلم، وهذا من باب الإيمان.. بقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة).. ومن باب الإيمان بقوله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ (الحشر).. ولقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أمور العقيدة بالتفصيل.. وكذلك الأسماء والصفات.. فقد بلّغَ الرسالة كاملة وأدى الأمانة على أحسن وجه صلى الله عليه وسلم.

ـ هل ثبت أن أحداً أشكل عليه شيء من الصفات في زمن النبي صلى الله عليه وسلم؟

ـ كان الصحابة يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم.. أحياناً كما سئل «هل نرى ربنا»؟..

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجيبهم فيفهمون ويؤمنون.. كما أخبرهم عندما رآهم يرفعون أصواتهم بالدعاء «**إنكم لا تدعون أصم غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً**» متفق عليه.. وكما أخبرهم عن نزول الله عز وجل كل ليلة في الثلث الأخير إلى السماء الدنيا وعن مجيئه يوم القيامة.. وعن جميع ما يحتاجونه في باب الأسماء والصفات. وكفى ما جاء في السنة من هذه الأخبار الثابتة.. فلا حاجة للقياس العقلي والمنهج الفلسفي، لأنه يؤدي إلى ضلال.

قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٣)

متابعة لبعض القواعد الثابتة في الأسماء والصفات، والتي منها أن الكلام في هذا الباب توقيفي لا يكون إلا بناء على آية من كتاب الله أو حديث صحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم: ومنها أن الأسماء والصفات كلها معانيها تكون محمودة دائماً... وكلها كمال لله عز وجل... استفسر الحضور في الديوان عن بعض الأمور الدقيقة في هذا الباب.

ـ وهل (الموجد) من أسماء الله؟

ـ هذا سؤال جيد... لنطبق عليه القاعدة.. ليست هناك آية في كتاب الله أو حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر هذا الاسم مع أنه سبحانه هو الذي أوجد كل شيء (فالموجد) هو (مفعل) من (أوجد).. وله معنيان... أن يجعل الشيء موجوداً، والمعنى الثاني أن يجعل للشيء جدة... أي غنى... ولكن لا نطلق هذا الاسم على الله عز وجل لأنه لم يثبت.

ـ وماذا عن (الصانع).. كما قال تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ (طه). وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (النمل).

ـ ذات الكلام الذي قلناه عن (الموجد) نقوله عن (الصانع)... لم يثبت في آية من كتاب الله... ولا في حديث صحيح عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم.. فلا نقول أن من أسمائه عز وجل (الصانع)... مع أنه سبحانه صنع كل شيء... وأتقن كل شيء صنعه... ولكن الأسماء توقيفية ولا نشتقها من الصفات...

وكذلك نتابع الكلام فنقول (المتكلم)... ليس من أسماء الله الحسنى مع أننا نثبت صفة الكلام لله عز وجل... ونقسم بهذه الصفة... فالقرآن كلام الله... ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ (النساء)... ونؤمن بأن الله يتكلم متى شاء... بما شاء... كلاماً يليق بجلاله عز وجل لا يشبه كلام المخلوقات ولكن لا نقول أن (المتكلم) من أسماء الله الحسنى لأنه لم يثبت في حديث صحيح أو آية من كتاب الله عز وجل... وكذلك (المنشيء) مع أن الله سبحانه هو الذي ينشئ السحاب... وجاء في القرآن: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ (الرعد). وأيضاً: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الواقعة)... ولكن لا نقول أن من أسمائه عز وجل (المنشئ)... فكل آية أو حديث يذكر صفة لله عز وجل.. نثبتها كصفة ولنا أن ندعو الله بها.. ولكن لا نشتق منها اسماً... مثلاً للمرء أن يدعو (يا منشئ السحاب).. اسقنا الغيث. ويقول: (يا من كلمَّ موسى تكليماً)... ويدعو بما يناسب.

فهذه صفات لله عز وجل ثبتت في القرآن والأحاديث الصحيحة ولكن لا نشتق منها أسماء.. لأن الأسماء توقيفية يجب أن ترد في آية أو حديث صحيح.

قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٤)

دعاني بعض الإخوة لحضور مجلسهم يوم الأربعاء.. ورغم محاولاتي للإفلات من هذه الدعوة إلا أنها فشلت.. فأجبتهم.. وكنت سعيداً وأنا في طريقي إليهم.. كان الحوار حول الأسماء والصفات..

- بعض الناس يتحرج أن يصف اللّه عز وجل بما وصف به نفسه.. ولهؤلاء نقول: إن اللّه أرادنا أن نعبده.. فبين لنا كيف نعبده.. واللّه عز وجل أرادنا أن ندعوه بأسماء.. فذكرها لنا في كتابه وبالوحي إلى رسوله صلى اللّه عليه وسلم.. فنحن عندما نصف اللّه تعالى بأية صفة.. إننا بذلك نتعبد اللّه عز وجل بأن نصفه بما أراد هو سبحانه أن يصف نفسه.. ومن التعدي.. ألا نصف اللّه بما وصف هو به نفسه عز وجل.. فنحن لا نزيد ولا ننقص شيئاً على ما ذكره اللّه عز وجل عن نفسه.. وهذا مراد اللّه عز وجل منا..

بعد حوار وبيان سأل أحدهم..

- حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم لذلك الأنصاري «**إن اللّه عجب من صنيعكما**» (صحيح الترغيب والترهيب) ما معناه؟

- سؤال جيد.. يبين لنا قاعدة أخرى في الأسماء والصفات.. وهي أن المعنى الذي نفهمه لأي صفة ثبتت له عز وجل.. هو المعنى اللغوي.. كما هو في لغة العرب.. وهذا معنى قول العلماء.. «الاستواء معلوم».. أي معنى الاستواء في اللغة معلوم وهو الذي نفهمه في حق اللّه عز وجل، ولكن «الكيف مجهول» وذلك لأن «استواء اللّه على عرشه» عز

وجل الذي أثبته في مواضع كثيرة من كتابه، ليس كاستواء المخلوقين.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى).. ولا نسأل عن الكيفية.. فالمطلوب منا إثبات الصفة للّه.. ونفي التشبيه.. وعدم السؤال.. وهذا في جميع الصفات.. نرجع إلى السؤال.. نقول: إن «العجب» معلوم.. (وهو استحسان الفعل).

ـ وهل هناك صفة أخرى يمكن أن نقول فيها الكلام ذاته؟!

ـ نعم.. نطبق هذه القاعدة على كل صفة ثبتت في كتاب اللّه أو في السنة الصحيحة، سواء صفة ذات أم صفة فعل.. ولتوضيح ذلك.. صفات الأفعال.. مثل نزول اللّه عز وجل كل ليلة في ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا.. ومجيء اللّه عز وجل يوم القيامة مستو على عرشه تحمله ثمانية ملائكة.. وفرح اللّه عز وجل إذا تاب العبد.. وضحك اللّه عز وجل.. وهكذا جميع صفات الأفعال.. أما صفات الذات فهي المتعلقة بذاته عز وجل.. كما وصف نفسه عز وجل بأن له يدان.. عندما خاطب إبليس لعدم سجوده لآدم ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ٧٥﴾ (ص).. وفي مواضع أخرى كثيرة وفي الحديث الصحيح.. «**وكلتا يديه يمين**» (مسلم وغيره).. ومثل صفة الوجه.. وصفة العين.. وغيرها مما ثبت في كتاب اللّه وفي سنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.. فيجب على المؤمن أن يثبت الصفة كما هي بمعناها المفهوم باللغة العربية الصحيحة.. ودون تشبيه بشيء من المخلوقات.. لا في صفات الذات ولا في صفات الأفعال.. وبذلك نتعرف على ربنا كما يحب ويرضى..

سألني أحدهم.. وقد بدأ المجلس يفقد انضباطه.. لانتهاء الدرس.. وبدأ توزيع المرطبات والمقبلات..

ـ هل هناك كتب.. حديثة تتحدث عن هذه القضايا بشكل مبسط وسهل؟!

ـ نعم.. والمرء ينبغي أن يحرص أن يطلع على هذه الكتب التي تنهج طريقة السلف في إثبات الأسماء والصفات حتى لا يقع في الخطأ.. ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر.. كتاب الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ في الأسماء والصفات.. وكتاب الشيخ محمد الحمود «المنهج الأسمى» ورسالة الدكتوراة للشيخ وليد العلي.. وبالطبع كتب السلف من أمثال أحمد بن حنبل، وابن تيمية، ومن سبقهم أو تبعهم ممن يلتزمون منهج السلف في فهم الأسماء والصفات.

قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٥)

في عقيدتنا (جميع الأسماء والصفات في حق اللّه عز وجل صفات كمال ومدح وثناء).. ولذلك نقول «إن الشر لا ينسب إلى اللّه»... كما في الحديث... «**والشر ليس إليك**» (صحيح أبي داود)... وكذلك في قوله عز وجل.. ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ (الجن).. فكانت إرادة الشر مبنية على المجهول.

ـ هل تعني أن الضر لا ينسب إلى اللّه؟!

ـ دعني أكمل... فلو تتبعنا آيات الكتاب... مثلاً ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ (النساء)... وفي الآية بعدها: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾ (النساء)... ولا تعارض بين الآيات.. فـ(من) الأولى أي مصدرها.. و(من) الثانية... أي سببها... أما خالق الحسنات والسيئات فهو اللّه عز وجل.. فهو خالق كل شيء... وتدبر قوله في الآية التي قبلها... ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾... لم يقل (فهي من عند اللّه).. أي السيئة..وإنما قال الحسنة والسيئة.. (كلٌّ) من عند اللّه... أي خالقها اللّه عز وجل... فلذلك نؤمن بأن الآيات التي فيها الثناء والكمال دائمة للّه عز وجل... (الرحمة)، (العفو)، (العطاء)، أما الصفات والأسماء الأخرى... مثل (غضب الرب)... (الانتقام)... (شدة العذاب)، (شدة البطش)... فإنها ليست على الدوام... إما أن تكون متعلقة بمن يستحقها فقط... ﴿إِنَّا

مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (السجدة)... (فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الروم) أو متعلقة بزمن محدد... مثل ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الدخان)... أي يوم القيامة... ومثل: (لقد غضب ربي غضباً لم يغضب قبله مثله) يوم القيامة (أصله في البخاري).. أو ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۚ﴾ (البقرة:)... فئة من اليهود... ولذلك هذه الصفات والأسماء لا تأتي مطلقة ولا مفردة... وإنما مقترنة بغيرها من الأسماء أو مقيدة بمن يستحقها أو بزمنها... أما الأسماء التي فيها الفضل فإنها تأتي مطلقة مفردة غير مقيدة..

ـ هل هناك مزيد من هذه الأسماء أو الصفات المقيدة؟

ـ نعم... مثلاً قول الله عز وجل.. ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ (البقرة) فالاستهزاء... من الله... لهؤلاء... (جزاء وفاقا)... وكذلك قول الله عز وجل: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٢) أي المنافقين... فليس الخداع من صفات الله... ولكن الله جزى المنافقين نتيجة خداعهم بأنه هو سبحانه (خادعهم)... ومثل ذلك أيضاً... ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ﴾ (التوبة: ٦٧) عن المنافقين أيضاً... وهذا كله في باب الصفات... أما أسماء الله فهي جميعها أسماء حسنى... ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ (الأعراف: ١٨٠)... فهي أحسن الأسماء وأكملها وأجلها وكلها مدح وثناء لله عز وجل... وهذه الصفات التي ارتبطت بمن يستحقها ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ (النبأ) تكون كمالاً لله عز وجل... لأنه عاقب من

يستحق بما يستحق.. من الاستهزاء والمكر والنسيان.. وهذا من الكمال... وليس من الكمال أن يترك المستهزئ... والذي يمكر.. والمخادع.. فهي وإن كانت صفات غير محمودة على إطلاقها... إلا أنها صفات كمال عندما اقترنت بمن يستحقها.

مسألة دقيقة في الأسماء والصفات

اتفقت وصاحبي أن نصلي العشاء جميعاً ثم نقضي بعض الوقت معاً دون أن نحدد نشاطاً نعمله أو مكاناً نقصده.

ـ انشغلت منذ أيام في بحث حول الأسماء والصفات... ولاسيما القاعدة التي تقول: (إن صفات عز وجل لا نشتق منها أسماءً للّه عز وجل)... فمثلاً من صفات اللّه (الكلام) فهو سبحانه يتكلم متى شاء بما شاء.. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ١٦٤﴾ (النساء).. ولكن لا نشتق اسم (المتكلم) للّه عز وجل... وكذلك من صفاته عز وجل... أنه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (طه) فمن صفاته الاستواء على العرش.. ولكن لا نشتق من هذه الصفة اسم (المستوي).. للّه عز وجل.. وكذلك مما وصف اللّه به نفسه أنه يمكر بالكافرين ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠﴾ (الأنفال).. ولكن لا نشتق اسم (الماكر) للّه عز وجل.. وكذلك وصف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ربه أنه ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة إذا كان ثلث الليل الآخر.. كما في الحديث الصحيح.. (مسلم) ولكن لا نشتق اسم (النازل) للّه عز وجل توقفت قليلاً لأتيح له فرصة للتعليق.

ـ هذه القاعدة معلومة في الأسماء والصفات... أن أسماء اللّه توقيفية لا تثبت إلا إذا جاءت في الكتاب أو السنة الصحيحة... فما الذي شغلك؟!

ـ الذي شغلني أن بعض الأسماء الحسنى الواردة في كتب أهل السنة

والجماعة لم ترد في الكتاب أو السنة صراحة... مثل (الرشيد).. ومثل (المحيط).. ومثل (النور).. ومثل (الطيب).. ومثل (الجميل) وغيرها... وقد رجعت إلى الفتاوى لابن تيمية فرأيت أنه يثبت اسم النور استناداً إلى آية النور.. ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (النور ٣٥) وكذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم «**أنت نور السموات والأرض**».. (صحيح ابن ماجه)..

وكذلك شيخ الإسلام ابن القيم يثبت هذه الأسماء في كتبه مدارج السالكين وبدائع الفوائد وشفاء العليل... مع أن الشيخين اختلفا في اسم (المنتقم) فأورده ابن القيم مقروناً باسم العَفُوّ.. مثل (القابض الباسط) (المعز المذل).. (العفو المنتقم).. أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى أنه ليس من أسماء الله الحسنى.. مع أن الأصل أن الأسماء الحسنى لا تشتق من الصفات... وإنما الأسماء تدل على صفات الله عز وجل... (فالسميع) اسم من أسماء الله يدل على صفة السمع... وكذلك (البصير).. و(العليم).. هذه الأسماء ثابتة في كتاب الله.. أما (الطيب).. فلم يثبت الاسم في كتاب الله.. ولكن جاء في الحديث الصحيح وصفاً لله عز وجل وليست علماً.. وكذلك (الرشيد) لم يثبت في الكتاب ولا السنة ولكن اشتق من بعض الآيات.. كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ (الجن:)، ﴿وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ (الكهف)، فاشتق العلماء اسم (الرشيد)..

تابعت حديثي حول ما كنت أبحثه في الأسماء والصفات.. وكنا قد أخذنا مجلسينا على كرسي قبالة البحر..

ـ فأهل السنة والجماعة مجمعون على أن صفات اللّه عز وجل كلها صفات كمال وصفات مدح، تستلزم الثناء والحمد، وينفون عن اللّه عز وجل كل صفات النقص والذم.. ويرون أن الدعاء والحلف أو الاستغاثة كلها تكون بأسماء اللّه وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة الصحيحة.

ـ دعنا نتابع نقاشنا عن الأسماء التي ثبتت في القرآن والسنة والتي لم تثبت.

ـ أما أسماء اللّه التي ثبتت في القرآن، فهي جميع الأسماء التي سمى اللّه بها نفسه.. مثل.. الرحمن.. الرحيم.. الملك.. القدوس.. السلام.. المؤمن.. المهيمن.. العزيز.. الجبار.. المتكبر.. الأول.. الآخر.. الظاهر.. الباطن.. الخالق.. البارئ.. المصور.. الغفور.. الوهاب.. العليم.. الحكيم. وغيرها.

وفي السنة الصحيحة وردت أسماء لم ترد في القرآن مثل الشافي.. المقدم (..) المؤخر.. الديان.. الحنان.. المنان.

وهذه وردت في أحاديث صحيحة.. أما الصفات التي جاءت في القرآن فكثيرة جداً، ومنها.. أنه سبحانه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ (طه).. وأنه سبحانه ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ (البقرة: ٢٥٥).. وأنه سبحانه ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (سبأ: ٣) وأنه سبحانه ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا

يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ (هود).. وأنه سبحانه ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ (الأنعام: ١٤) وأنه سبحانه ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ (طه) وأنه سبحانه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ (الإخلاص) وأنه سبحانه ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ (الإسراء).. وأنه سبحانه يجيء يوم القيامة ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ (الفجر).. وغيرها من الصفات العلى.. التي كلها كمال لله عز وجل.. ولكن لا نشتق منها أسماء لله عز وجل.

ـ وهل اسم (المحيط) من أسماء الله عز وجل؟

ـ لم يرد هذا الاسم في كتاب الله عز وجل.. ولكنه ورد صفة لله عز وجل كما في قوله جل ثناؤه ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ (فصلت)، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ (آل عمران).. ولذلك كان الأولى أن نذكره صفة لله وليس اسماً من الأسماء الحسنى.. والله أعلم.

ـ وماذا عن (الجميل)؟

ـ هذا الاسم أيضاً لم يرد في كتاب الله.. ولكنه ورد صفة لله عز وجل في حديث عبد الله بن مسعود عندما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس**» (صححه الألباني).

فمن صفاته سبحانه وتعالى أنه جميل بمعنى أن كل أمره سبحانه حسن جميل.. وهو المجمِّل.. وهو ذو النور والبهجة.. وهو جميل الأفعال

بكم.. كامل الأوصاف.. سبحانه وتعالى.. فالأولى أن يكون من صفات الله العلي أنه (جميل).. وليس من أسمائه (الجميل).. كما تقتضي اللغة العربية التي نفهم بها الأسماء والصفات.. وكما تستلزم القواعد المتبعة في أسماء الله تعالى وصفاته.

بدا صاحبي مستغرباً بعض الشيء.

- هل تعني أن العلماء اختلفوا في نسبة بعض الأسماء لله عز وجل.

- نعم.. ولعل أشهر خلاف كان في اسم (المنتقم) حيث إنه لم يرد في كتاب الله.. والأسماء يجب أن ترد كما هي دون اشتقاق... أما الصفات.. فيجب أن تطلق كما وردت مقيدة.. فمن صفاته ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (السجدة) سبحانه وتعالى، ومن صفاته أنه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ (البروج).. ولا يقول أحد من العلماء إن من أسمائه (الفعال).. فهذه كتلك.

- وماذا عن الأسماء المترادفة؟!

- نعم بعض أسماء الله الحسنى لا تذكر مفردة.. بل مترادفة لاقتضاء معنى الكمال.. فمثلاً.. لا يطلق اسم (القابض) لوحده لله عز وجل.. وإنما (القابض الباسط).. و(المقدم المؤخر)..

- سؤال أخير.. ما الأسماء المعروفة التي لم ترد صراحة في القرآن ويتداولها الناس وجاءت في كتب أهل السنة.. ترددت بالإجابة.

- بصراحة لا أستطيع أن أذكرها كلها الآن.. ولكن سأذكر لك بعضها..
(الكفيل.. النور.. الرشيد.. الهادي.. المحيط.. الفاطر.. الغالب.. الكافي..
الرفيق.. الجميل.. الوتر).

فهذه صفات لله عز وجل لم ترد كأسماء في القرآن أو السنة..
فالأولى أن تبقى صفات وليس أسماء لله عز وجل.. والله أعلم.

الاختلاف في الأسماء الحسنى

في اليوم الثالث لعيد الفطر اجتمع الإخوان والأصهار في رحلة جماعية إلى أحد المنتزهات.. كان من الصعب إدارة حوار واحد للجميع.. قمت وصاحبي وثالث نتمشى في المنتزه الهادئ بعد تناول العشاء.

ابتدأ الحوار زوج ابنتي:

ـ وهل اختلف العلماء في بيان أسماء الله الحسنى؟

ـ ماذا تعني بالاختلاف؟

ـ أعني أن بعضهم أورد أسماءً لله ـ عز وجل ـ اعترض عليها آخرون، أو أورد بعضهم أسماءً حسنى لم يوردها آخرون.

ـ نعم.. فالمتتبع للذين أصدروا مؤلفات في الأسماء الحسنى يجد أن بعضهم أورد أسماء لم يوردها آخرون، مثلاً: اسم «المنتقم» ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه ليس من الأسماء الحسنى.. وذكره ابن القيم في الأسماء الحسنى... والحق مع ابن تيمية.. وكذلك «الدهر»: فقد أدخله بعضهم في أسماء الله، وأنكر آخرون، والحق مع من لم يدخله في الأسماء الحسنى.

ـ وهل هذا الاختلاف في الكثير من الأسماء الحسنى؟

ـ كلا.. بل الأكثر أجمع العلماء على أنها من الأسماء الحسنى، واختلفوا في بعضها.. مثلاً: «الأكرم».. أورده القرطبي والخطابي وابن الوزير وابن حجر وابن عثيمين.. ولم يرد عند ابن منده والأصبهاني وابن القيم والسعدي ولكن «الأحد ـ الصمد ـ الرحمن ـ البارئ ـ السميع ـ

البصير» هذه الأسماء التي وردت صريحة في القرآن والسنة أوردها كل من جمع أسماء الله الحسنى.

- ولماذا هذا الاختلاف مع الاتفاق على القواعد؟

- لأنه لا يستخدم القياس المعنوي أو اللغوي في أسماء الله الحسنى؛ فلا يقال: «القادر».. نفسه «المستطيع»، ولا «العليم».. نفسه «العارف».. ومن أعطى الله اسماً لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة فإنما وقع في الإلحاد الذي نهى الله عنه في قوله عز وجل: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ (الأعراف).

قال البغوي: «الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يتسمّ به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم». ولتطبيق هذه القاعدة عملياً.. إذا ذكر لنا أحد اسماً لله تعالى نقول له: أين ورد هذا الاسم في القرآن أو السنة الصحيحة؟ فإن ثبت وإلا لم نقل بما يقول.

- هذه قواعد واضحة.. إذاً لماذا اختلف العلماء في ذكر بعض أسماء الله الحسنى؟

- بعضهم أدخل الصفات مع الأسماء.. وبعضهم توسع في باب اشتقاق الاسم من نصوص جاءت في القرآن والسنة.. وبعضهم اجتهد في تطبيق قواعد اللغة في إثبات الاسم أو الصفة. ثم اختلفوا في الشرط الثاني للأسماء الحسنى: وهو أن (الاسم يقتضي المدح والثناء بنفسه). و(أن الله يُدعى بالأسماء الحسنى إذا ثبتت)... فاجتهدوا في هذين الأمرين.. وكلهم مأجور إن شاء الله.

الاختلاف في الأسماء الحسنى (٢)

سألتني عن الضوابط التي يجب التزامها في معرفة أسماء اللّه الحسنى.

وهي ضوابط أجمع عليها أهل السنة والجماعة، وخالفهم فيها فرق؛ كالمعتزلة والجهمية، والخوارج، والماتريدية، والأشاعرة.

– آمل أن تبينها بأسلوب سهل ما أمكن حتى نفهمها، مع أننا لن نجرؤ على أن نطبقها في معرفة أسماء اللّه الحسنى لأننا لسنا بعلماء ولا حتّى طلبة علم، ولكن نريد أن نتعلم.

– وما أنا إلا واحد منكم، وإنما أنقل إليكم ما اطلعت عليه من أقوال العلماء، أما الضوابط فقد اختصرها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الأسماء الحسنى معروفة: هي التي يدعى اللّه بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها» فنستطيع أن نلتزم بقاعدتين:

١ ـ ورود الاسم في الكتاب أو السنة الصحيحة.

٢ ـ اقتضاء الاسم المدح والثناء بنفسه.

ويقول العلماء: «أسماء اللّه توقيفية»، أي: يجب الوقوف بشأنها على ما ورد في القرآن والسنة الصحيحة، لا نزيد ولا ننقص، فلا ننفي عن اللّه ما أثبته لنفسه، ولا نثبت للّه ما لم يثبته لنفسه.

فمثلاً: نقول: إن من أسماء اللّه «السميع البصير»، وليس: السامع أو المبصر، فنحن نثبت الاسم بألفاظه كما ورد، ونثبت المعنى الدال عليه الاسم، فهو «السميع»، يسمع كل شيء سمعاً يليق بذاته ـ عز وجل ـ ولا يشبه سمع أحد مطلقاً، فنثبت الاسم والصفة والمعنى.

وكذلك «العلي العظيم»، دون: الرفيع الشريف، وهذا معنى قولنا: «أسماء اللّه الحسنى توقيفية».

ـ الاختلاف سببه اجتهاد في فهم الحديث وصحة استنباط الاسم من الآية أو الحديث، فمثلاً «الباسط» هذا الاسم لم يرد في القرآن، وإنما دليله حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**إن اللّه هو المسعر القابض الباسط الرازق**» (أخرجه أبو داود، وابن ماجه، وأحمد، وصححه الألباني)، ذكره أغلب من جمع الأسماء الحسنى، وأسقطه ابن حجر.

وكذلك اسم «البر» مع أنه ورد في القرآن ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ (الطور)، ذكره غالب من جمع الأسماء، وأسقطه ابن منده، وذكر «البار» بدلاً منه، ولكن اسم «التواب» ذكره الجميع.

ومثلاً: «الجميل» من حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**إن اللّه جميل يحب الجمال**» (مسلم) أورده الخطابي ابن منده والحليمي، وابن القيم، وابن عثيمين، وأسقطه ابن الوزير، وابن عيينة، وابن حجر، والسعدي، وهو الصواب.

وكذلك اسما «الجواد» و«الطيب» أوردهما الحليمي، والبيهقي، وابن العربي، والقرطبي، وابن القيم، والسعدي، وابن عثيمين، وأسقطه

ابن عيينه والخطابي، وابن حزم، وابن الوزير، وابن حجر، وهو الصواب إن شاء الله.

وهكذا لو تتبعنا أسماء الله الحسنى لوجدنا من جمعها قد اختلفوا في ذكر الاسم أو إسقاطه من الأسماء الحسنى، وذلك لاجتهادهم في تطبيق القواعد المتفق عليها والضوابط الواجب إلتزامها في معرفة أسماء الله الحسنى.

إحصاء الأسماء الحسنى

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً.. من أحصاها دخل الجنة**» وفي رواية زاد: «**وهو وتر يحب الوتر**» (متفق عليه).

هذا الحديث سمعت فيه الكثير وأريد المزيد..

. (**أحصاها**).. عددها.. حفظها.. علمها.. وعرف معانيها كما أراد الله تبارك وتعالى..

ـ القاعدة: أن الله لا يأمرنا بما لا نستطيع.. فهل بالإمكان أن نحصي أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين المرادة بهذا الحديث؟

ـ هذا الحديث يمكن أن نتعلمه ونعمل به إذا فهمنا معناه كما نفعل مع حديث ليلة القدر.. وحديث ساعة الجمعة المستجابة..

ـ ماذا تعني؟!

ـ عندما لم يعين الرسول صلى الله عليه وسلم – بوحي من الله – ليلة القدر.. وإنما طلب منا أن نلتمسها في العشر الأواخر.. فإنه بذلك شرع للأمة الاجتهاد في العشر كلها.. وكذلك عندما لم يحدد ساعة الإجابة يوم الجمعة.. فإنما شرع للأمة الاجتهاد في كل وقت العصر.. وهكذا هذا الحديث يجتهد أحدنا في معرفة أسماء الله الحسنى.. حفظاً.. ومعنى.. ولا يزعم أحد أنه أحصاها دون غيره.. ولذلك عندما تقرأ في كتب من اجتهد في هذا الباب تجد الاختلاف في بعض الأسماء، مثل.. (الشافي)..

(الطيب).. (الجميل).. (الطبيب).. (السيد).. (الهادي).. (المسعر).. وغيرها.. والجميع مجتهد لعله يصيب والجميع مأجور..

ـ أول مرة أسمع أن من الاحتمالات أن يكون من أسماء اللّه الحسنى (الطبيب).. هل ورد ذلك في حديث؟!

ـ نعم.. والحديث صحيح ورد في السلسلة الصحيحة.. وأخرجه أبو داود وأحمد وابن منده.. وقال صحيح على شرط مسلم.. ومتنه.. عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة قال: انطلقت مع أبي نحو رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: فقال له أبي: أرني هذا الذي في ظهرك فإني رجل طبيب قال صلى اللّه عليه وسلم: «**اللّه الطبيب بل أنت رجل رفيق.. طبيبها الذي خلقها**».

فالشاهد أن العلماء الذين جمعوا الأسماء الحسنى اجتهدوا واختلفوا فيما هو من الأسماء الحسنى وما هو ليس منها.. وهو باب للتنافس لنيل ثواب هذا الحديث.. ولا ينبغي أن ينكر أحد على أحد من العلماء المجتهدين.

وهل الذين جمعوها.. وصلوا إلى تسعة وتسعين اسماً؟

نعم.. الجميع وصل إلى هذا الرقم مع اختلافهم في بعض الأسماء قديماً وحديثاً... عدا بالطبع الأسماء الحسنى التي وردت في القرآن.. (اللّه) (الرحمن).. (الحي) (القيوم) (السلام) (المؤمن).. هذه وغيرها اتفق عليها الجميع...

وكيف يستفيد المرء من هذا العلم الجليل؟!

لا شك أن الفائدة لا حصر لها... المؤمن يتعلم من الأسماء الحسنى ما لا يليق إلا بالله.. (الأحد) (القدوس) (المتكبر).. فيتذلل ويخضع.. والصفات التي تخيف العباد.. (شديد العقاب).. (ذو البطش الشديد)، (سريع الحساب)، فينتهي عن معاصي الله، وإذا علم أن الله (رحيم) لم يقنط.. بل وسعى أن يتصف بهذه الصفة.. وهكذا يكون العمل بمقتضى هذه الأسماء الحسنى.. وهذا من إحصائها.. من أتى به بإخلاص دخل الجنة برحمة الله.

أَوَ يضحك ربنا؟

بعد درس العصر القصير رافقني عبدالله في طريق عودتي:

- سمعت حديثاً في صفات الله - عز وجل - ولا أدري ما صحة الحديث ولكني كتبته حتى لا أنساه.

أخرج ورقة مطوية من جيبه الأيمن:

- عن أبي رزيق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ضحك ربنا - عز وجل - من قنوط عباده وقرب خيره**. فقال أبو رزيق: أَوَ يضحك ربنا عز وجل؟ قال صلى الله عليه وسلم: نعم، فقال: **لن نعدم من رب يضحك خيراً**» (السلسلة الصحيحة).

- اسمح لي.. لا أعرف هذا الحديث عن هذا الصحابي ولكن أعرفه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليضحك من إياس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم**» قالت عائشة: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أَوَ يضحك ربنا تعالى؟ قال: **والذي نفس محمد بيده إنه ليضحك.**

فقلت: لن يعدمنا منه خيراً إن ضحك» (حسنه الألباني).

اقترحت على صاحبي أن نبحث صحة الحديث في «الكمبيوتر» ولن تستغرق العملية دقائق ولا سيما بعد وجود البرامج السهلة التي جمعت جميع الكتب تقريباً وجعلت البحث في آلاف الكتب ينجز في دقيقتين.. فالحمد لله.

ـ قال ابن تيمية: «حديث حسن».. الواسطية، وابن القيم: «صحيح» في زاد المعاد، وفصّل «الألباني» فقال: مجموع الحديثين يصل إلى «الحسن».. وهو الصواب إن شاء الله.

ـ والآن وقد ثبت الحديث كيف نفهم معناه؟

ـ نفهمه كما نفهم جميع صفات الله ـ عز وجل ـ نثبت الصفة كما جاءت ونقول: إنها ليست كصفات المخلوقين وأنها تليق بالله ـ عز وجل ـ لا نكيفها ولا نتخيلها ولا نمثلها بشيء.. ولا ننفيها.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى).. وهكذا نقول في كل صفة.. مثلاً الحديث الآخر: عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليعجب من الصلاة في الجمع**» (صحيح الجامع)، والحديث الثالث: عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليعجب من العبد إذا قال: لا إله إلا أنت، إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال ـ الله عز وجل ـ: عبدي عرف أن له رباً يغفر ويعاقب**» (السلسلة الصحيحة).

فهذه الأحاديث تدل على هاتين الصفتين لله ـ عز وجل ـ فنثبتهما ولا ننكر ولا ننفي ولا نشبه ولا نمثّل.. بل الله أراد لنا أن نعلم هاتين الصفتين من صفاته وأعلمنا.. فلا نملك إلا أن نؤمن.. وكما في الحديث.. من آثار هذا الإيمان: «**لن نعدم خيراً من رب يضحك**».. وفي الرواية الأخرى: «**لن نقنط خيراً من رب يضحك**».. وفي الرواية الأخرى: «**لن نقنط من رحمة الله**».. فالله سبحانه رحيم بعباده رحمة لا يمكن للعبد أن يتصورها، فلِمَ

يقنط ورحمة اللّه قريبة دائماً؟! ولمَ يقنط ومن صفات اللّه أنه يعجب من اعتراف العبد بذنبه وعلمه أنه لا يملك المغفرة إلا اللّه؟! فالصفة الأولى مدعاة للاطمئنان إلى رحمة اللّه، والصفة الثانية مدعاة للوثوق بمغفرة اللّه.. فعلى العبد أن يحسن الظن باللّه.. ويحسن التعامل مع اللّه في كل حال.. حال الطاعة.. وحال المعصية.. فالحمد للّه الذي أعلمنا من صفاته ما يعيننا على طاعته والإيمان به والنجاة من العذاب يوم القيامة.. إنه كان بعباده رؤوفاً رحيماً.

المصور

بعض الكلمات نستخدمها في غير معانيها اللغوية.. أو في معنى واحد فتضيع معانيها الأخرى.. سألت صاحبي..

● **هل تعرف معنى (المصور)؟!**

تردد وكأنني أسأل عن شيء لا يمكن أن يجهله أحد...

ـ (التصوير).. التشكيل.. و(المصور).. الذي يصور.. أي يشكل هيئة الأشياء..

ـ دعني أعطيك شيئاً من علم اللغة.. (الصور) بالتحريك.. تعني الميل.. ومنه قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (البقرة: ٢٦٠).. أي: أملهن واجمعهن إليك.. والأصور من الرجال.. المائل.. و(تصور).. توهم.. أو.. تخيل والتصاوير: التماثيل.. وصورة الشيء.. صفته.

قال مبتسماً:

ـ هذا ما قلته!! ولكن بشيء من التفصيل.. وهل هو المعنى ذاته بالنسبة لله عز وجل.. فإن من أسمائه (المصور)..

ـ جاء في القرآن: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤)... وجاء أيضاً.. ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ (آل عمران).. وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ (

الأعراف).. فالمعنى أن اللّه يخلق ما يريد على الصفة التي يريدها دون مثل يحتذى بموجود في الطبيعة أو في صور سابقة أو موجودات.. أما اللّه فيصور خلقه كيف يشاء بكلمة (كن): سبحانه وتعالى.. وجعل اللّه سبحانه صور خلقه مختلفة كما لغاتهم وأجناسهم (ليتعارفوا).. ولكن دعني أبين أن اسم (المصور) للّه عز وجل نستدل عليه من الآية الأولى التي في سورة الحشر فقط.

قاطعني..

● ولكن أين هذا المعنى من (الصَوَر) الذي هو (الميل)؟

ـ (المصور) في حق اللّه.. أنه سبحانه أمال خلقه وعدلهم إلى الأشكال التي توافق تقديره، وهو الذي جعل هذه الصورة مختلفة متعددة بما يتوافق وحكمة اللّه عز وجل.

ـ ولماذا أتت هذه الأسماء (مرتبطة)؟!

ـ لأنها أفعال مرتبطة متتالية.. (خلق ـ برئ ـ صوّر).. بهذا الترتيب ولذلك حرم اللّه على الناس (تصوير).. ذوات الأرواح لما في ذلك من التشبه بخلق اللّه.. وجاءت الأحاديث تتوعد المصورين بأشد العذاب «**إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم**» رواه الشيخان.. وأشد منه.. «**إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون**» متفق عليه.

ـ وهل هذا في حق (النحت).. أم.. (الرسم)؟!

ـ كلاهما .. ولا شك أن التماثيل أشد حرمة من الرسوم .. ولكن من (صوَّر) شيئا .. للعبادة أو لمضاهاة خلق اللّه .. فإنه .. كافر .. ومن سواه فهو على خطر عظيم .. والمرء ينبغي أن يتجنب كل هذا .. فإنه مهما أوتي المرء من علم وقوة فإنه لن يخلق شيئاً وتحداهم اللّه أن يخلقوا أصغر شيء .. ففي الحديث القدسي .. «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**» متفق عليه.

رفيع الدرجات.. ذو العرش

كنت أبحث عن حذائي بعد أداء صلاة الظهر في مسجد الجامعة.. اقترب مني.. دون أن أنتبه إليه.. بادرني بالتحية.. والمصافحة.. لم أعرفه ولكن بدا لي أنه عضو هيئة تدريس.. ربما دكتور جديد في أحد الأقسام الأخرى..

ـ لدي سؤال.. ولكن بعد أن تجد حذاءك.

وبالفعل تبين أني تركت حذائي عند الباب الآخر على غير العادة.. صاحبني في عودتي إلى المكتب.. كان يتحدث بالفصحى المخلوطة باللهجة المصرية..

ـ عندما يقرأ أحدنا القرآن يمر بآيات يشعر فيها بعظمة الخالق سبحانه وتعالى.. يقف طويلاً عند هذه الآيات..

ـ نعم.. ولذلك أمرنا الله أن نتدبر القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد).

ـ أحسنت.. ولكن أخاف أحياناً أن أسترسل في (التدبر) فأفهم معان غير صحيحة.. أو.. لا تليق.

لم أفهم مراد صاحبي.. وإنما استمعت.. تابع حديثه..

ـ مثلاً قوله عز وجل: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ (غافر).. وانظر إلى بداية

السورة: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ (غافر).. آيات عظيمة تخبرنا عن اللّٰه عز وجل.. ولكن أخاف أن أسترسل في التدبر فيها.. والوصول إلى فهم معين..

ـ نعم إنها آيات عظيمة.. وأعظم آيات القرآن هي التي يخبرنا فيها الرب عز وجل عن ذاته وصفاته.. ولكن دعني أقترح عليك بداية جيدة لموضوع تدبر الآيات.. لماذا لا تبدأ تدبر الآيات بالاطلاع على ما ورد في تفسير ابن الكثير المحقق من المعاني.. ثم تتدرج بعد ذلك.. وتسأل إذا أردت مزيد علم.

ـ إني أفعل ذلك أحياناً.. إذا كنت في المنزل والتفسير قريب مني.. ولكن معظم الأحيان لا أجد التفسير أمامي فلا أبحث بعد ذلك عن المعاني.. ولكن دعني أسألك عن هذه الآيات التي ذكرت لك..

ـ هذه الآيات من سورة غافر يخبرنا اللّٰه عز وجل فيها عن بعض صفاته.. بأنه سبحانه.. غافر الذنب ـ قابل التوب.. شديد العقاب.. ذو الطول ـ رفيع الدرجات ـ ذو العرش ـ فهذه صفات حسنى للّٰه عز وجل.

قاطعني.. متسائلاً: هل نستطيع أن نقول: إنها أسماء للّٰه عز وجل..

ـ بل هي صفات للّٰه عز وجل.. فمن أسمائه الغفار والغفور.. وهو سبحانه غافر الذنب.. وينبغي على المسلم أن يتعلم معاني الكلمات التي

لا يعرفها.. (ذو الطول).. أي ذو العظمة والكبرياء.. (رفيع الدرجات). أي: عالي المقام.. علو قدر.. وعلو مكان.. (ذو العرش).. فله سبحانه عرش عظيم.. نؤمن به وأن السماوات والأراضين في (كرسيه) كحلقة بفلاة.. والكرسي في العرش كحلقة بفلاة.. وهو سبحانه (مستو على عرشه).. سبحانه.. فوق سبع سموات.. فنؤمن بذلك كله دون شك أو ريب.. ودون تشبيه أو تمثيل.. بأي من المخلوقات..

ـ وهل يجوز لنا أن ندعو اللّه بهذه الصفات.. يا ذا العرش.. يا رفيع الدرجات..

ـ نعم.. للمؤمن أن يدعو اللّه بما يناسبه من أسمائه أو صفاته عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ (الإسراء).. ولكن يدعو المؤمن بما يناسب الدعاء من أسماء اللّه سبحانه وصفاته..

ذو الجلال والإكرام

دعاني صاحبي إلى دكانه الذي تخصص ببيع الأقمشة الرجالية.. لبيت دعوته بعد صلاة عشاء إحدى ليالي الشتاء.. اتخذنا مجلساً بعيداً عن الزبائن في إحدى الزوايا المنعزلة.. أعده لحفظ الأوراق والمستندات مع جهاز فاكس وهاتف.. نشر في محله ملصقات آيات وأحاديث زينها ببراويز ثمينة.. إحداها كانت آية من سورة الرحمن ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ (الرحمن).. لاحظ أني أجول بناظري بين هذه الآيات.. سألني..

– هل ورد هذا الاسم لله عز وجل في القرآن؟

ـ نعم.. ورد هذا الاسم مرتين في كتاب الله في سورة الرحمن.. هذه الآية والآية الأخيرة من السورة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ (الرحمن).

ـ والمعنى؟!

ـ المعنى كما هو في اللغة العربية.. الجلال.. (العظمة والكبرياء).. و (الإكرام) من الكرم.. (الجود).. فالله سبحانه وتعالى.. هو صاحب العظمة والكبرياء والكرم بحق.. وهو سبحانه المستحق أن يعظمه خلقه ويجلّوه سبحانه.. ومن فعل ذلك أكرمه الله.. لأنه أهل التقوى وأهل المغفرة.. فهو سبحانه المستحق أن يتقيه عباده ويخافوه.. ومن اتقاه أعطاه الله المغفرة.. (وإكرام) الله لخلقه..

عام وخاص.. فمن إكرامه العام لجميع خلقه ما أنعمه به عليهم من هيئة الخلق.. كما قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء).. ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ (التين).. وهذا للجميع.. في الدنيا.. أما في الآخرة.. فإنه يكرم عباده المؤمنين فقط ولا كرامة للمجرمين..

قاطعني..

ـ ألا يمكن أن يكون معنى (الإكرام).. هو (الإنعام).. فهو سبحانه ينعم على جميع عباده في الدنيا.. ويختص بذلك عباده المؤمنين في الآخرة؟!

ـ الإكرام أخص من الإنعام.. فكل إكرام إنعام.. وليس كل إنعام إكرام.. الله يكرم عباده بالنعم.. حباً لهم ومودة.. ولذلك تسم النعم التي تظهر للصالحين.. (كرامات الأولياء).. أما النعم للمؤمنين والكافرين في الدنيا..

ـ سمعت حديثاً فيه الدعاء بهذ الإسم أتذكره؟!

ـ نعم «**يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض.. يا ذا الجلال والإكرام.. لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين**» (السلسلة الصحيحة). وفي الحديث أيضاً: «**لظوا بـ (يا ذا الجلال والإكرام)**» (السنن الكبرى للنسائي) أي أكثروا من ذكر هذا الإسم في دعائكم.. فهو من الأسماء المحببة لله عز وجل. وجاء في

بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يدعو بالدعاء السابق أو مثله، فقال: لقد دعا الله باسمه الأعظم.. (صححه الألباني).

ـ وماذا عن تفسير آية الرحمن.. مرة ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾.. ومرة.. ﴿ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾..

ـ في الآية الأولى.. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (الرحمن).. فوصف (وجهه) أي ذاته سبحانه بأنه (ذو الجلال والإكرام) الذي يبقى بعد فناء كل خلقه.. كما في كتب التفسير أن الله يأمر ملك الموت أن يقبض إسرافيل ثم جبرائيل ثم حملة العرش.. ثم يأمره بالموت فيموت ملك الموت ولا يبقى إلا الجبار عز وجل.. وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ (الإنسان).. وقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ (الكهف: ٢٨).. و﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص).. دلالة على ذاته عز وجل وفيه إثبات صفة الوجه لله عز وجل دون تشبيه بشيء من مخلوقاته سبحانه.. وفي الآية الأخرى ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.. وصف ذاته.. بالجلال والإكرام.. فهو سبحانه المستحق للتعظيم الحقيقي.. ولا أحد يستحق هذا التعظيم.. وهو سبحانه وحده مصدر الإكرام.. ولا أحد يملك ذلك على الحقيقة.

يا حي يا قيوم.. برحمتك أستغيث

ـ الذين يبيحون لأنفسهم الكذب لأجل المصلحة.. والذين يبيحون لأنفسهم السكوت عن الحق لأجل الوصول.. والذين يبيحون لأنفسهم التملق من أجل الارتقاء.. كثيرون في زماننا هذا..

لم يخف صاحبي همه.. وضيقه.. وضجره.. بدأ بهذه العبارات حوارنا بعد أن تحدثنا عن أحوالنا وأخبارنا، حيث إننا لم نلتق منذ أكثر من شهر..

ـ وما الغريب في ذلك.. إن «الوصول» أمر مغر.. وعوائده المادية والاجتماعية كثيرة.. فإنك إذا وصلت.. ظهرت صورك في الصحف.. وتسابق الناس لنيل رضاك.. ونلت من المادة ما يغنيك عن التأكد من حسابك قبل أن تذهب إلى البنك لسحب بعض النقود..

ـ وأين المبادئ؟ أين الصواب والخطأ؟ أين القيم؟ وبعد الوصول والموت.. ما الذي ينتفع به هذا الوصولي؟ حساب.. عذاب..

ـ إنك لا تستطيع أن تغير معظم الناس.. بل أخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم.. وأفضل خلقه.. وأشرف عباده.. ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (الأنعام).. ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (القصص).

ولذلك عانى الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إصلاح الناس..

﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ (الكهف).. وعلمه الله عز وجل من الدعاء ما يستعين به على «هم» الدعوة.. وإعراض الناس عنه.. فكان من دعائه صلى الله عليه وسلم.. «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**» (السلسلة الصحيحة).

كلمات قليلة فيها كل ما يحتاج إليه العبد..

ردد صاحبي دون شعور..

- يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث.. وكررها مرة ثانية!!

- في هذا الدعاء العظيم اسمان من أسماء الله الحسنى (الحي) و(القيوم) ... (الحي) في حق الله يقتضي الحياة الكاملة له عز وجل كما يليق بجلاله.. (فالحياة) معلومة.. ولكن حياة الله ليست كحياة المخلوقين.. فالجميع تحتاج حياته لأسباب.. أولها.. الماء.. ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنبياء).. ومنها الهواء.. ومنها الغذاء.. ثم الأسباب الأخرى التي تجعل الحياة مريحة.. وحتى إن كان من الملائكة أو الجن ولا يحتاج هذه الأمور المادية فإن حياة هذه المخلوقات من الله عز وجل. أما (حياة) الله.. فلا تحتاج لشيء وهي دائمة لا تنتهي.. تليق بالرب عز وجل.. وهو سبحانه (حي) حياة تليق به.. وفرق بين حياة المخلوق وحياة الخالق.. كما الفرق بين الخالق والمخلوق.. ثم هو (القيّوم).. (القائم) بذاته.. ودون حاجة لشيء.. المقيم لغيره.. فلا شيء يقوم إلا أن يقيمه الله عز وجل.. فهو (قيّوم) السماوات والأرض ومن فيهن.. وهما اسمان متلازمان.. وردا في أعظم آية من كتاب الله - آية

الكرسي - ثم يستغيث العبد برحمته.. سبحانه وتعالى.. و(رحمة اللّه).. صفة من صفاته عز وجل.. فالعبد يستغيث.. إما باللّه أو بأسمائه أو بصفاته.. فناسب هنا أن يستغيث برحمته.. الواسعة.. التي لا حدود لها ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦).. وإذا استغاث العبد في لحظات ضعفه برحمته عز وجل.. تداركته الرحمة.. ومن نال رحمة اللّه هانت عليه كل الأمور.. وكانت رحمة اللّه أوسع له من كل ضيق الدنيا.. ونال من الخير ما لا يُشترى بكنوز الدنيا جميعها.. ولكن على المؤمن أن يتذكر دائماً أن يلجأ إلى اللّه.. وأن يستعين باللّه.. ويستغيث باللّه.. ويتوكل على اللّه.. ويعلم يقيناً دون شك.. أن اللّه كاف عبده.. وأن من يتوكل على اللّه فهو حسبه.. وأن نكد الدنيا كله يزول باللجوء إلى اللّه.. والشعور أنك في ذمة اللّه وحفظه.. وهذا اليقين يضعف أحياناً.. فيحتاج المؤمن إلى من يقويه.. ويذكره به..

لا غنى لنا عن الله

صاحبي ألتقيه بين فترة وأخرى بعد صلاة العصر في الممشى الموازي لشاطئ البحر.. في المرة الأخيرة كان بطيء السير.. شارد الفكر.. أدركته في سيري رغم تأخري عنه في البداية لأكثر من عشر دقائق.. أسرع الخطى ليبقى معي.. بدأ حديثه.. وكأنما كان ينتظر هذه الفرصة «ليفضفض»..

ـ أشعر أن المجتمع يضغط علي.. في قضية الزواج.. الكل يريدني أن أتزوج.. وأنا أرى أنني غير مؤهل للزواج بعد.

ـ ماذا تعني غير مؤهل؟

ـ أقصد أنني بدأت العمل منذ أربعة أشهر.. ولدي طموح أن أجمع مبلغاً.. أشتري به منزلاً.. أكوّن عملي الخاص.. أمور كثيرة أشعر أن فيها مخاطر.. لا أريد أن «أورط» بنت الناس معي.. عندما أشعر بالاستقرار والأمان يمكن أن أتزوج.

ـ وجهة نظر جيدة.. ولكن متى ستشعر بالاستقرار والأمان.. إن أحدنا لا ضمانة عنده ألا يصيبه شيء.. ما يدريك؟ ربما ـ لا قدر الله ـ بعد أن تشعر بالاستقرار يقع لك حادث فيصيبك بالشلل النصفي أو التام.. وربما يصيب زوجتك مرض يجعلها نزيلة دائمة للمستشفى.. وربما يرزقك الله ولداً معوقاً.. وربما تدخل في تجارة فتقع ضحية عملية نصب.. الدنيا لا أمان فيها.. إلا الإيمان بالله والتوكل عليه..

كان صاحبي ينصت.. باهتمام وأنا أتحدث بصعوبة لسرعة المشي..

- انظر إلى من حولك من الذين تصفهم «بالنجاح».. وذكرت له أسماء بعض الذين تبوؤوا مراكز مالية أو حكومية مرموقة.. كلهم تزوجوا في سن أقل من سنك.. ولم يكن الزواج معوقاً لنجاحهم.. المرء يزن الأمور بميزان الشرع.. فما وافق الشرع أقدم عليه.. وما خالف الشرع تركه.. والشرع يقول لك: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» (البخاري). ولكن أن تؤجل حتى تشعر بالأمان والاستقرار.. فإنك في جميع الأحوال لا غنى لك.. ولا لأحد.. عن الله عز وجل.. فلا يغرنك الشيطان ويعطيك الشعور بأنك ستكون بأمان إذا وصلت إلى كذا وكذا.. أو حققت كذا وكذا.. الأمان الوحيد.. هو الإيمان بالله والتوكل عليه.. بل واللجوء إليه.. لا أخذ الاحتياطات للأمان من قدره.. فإنه لا أمان من الله إلا بالله.. وما قضى الله سيكون.. والجميع فقير إلى الله.. في كل شيء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ (فاطر).

في جميع الأحوال.. وجميع مراحل العمر لا غنى لنا عن الله.. ندعوه ونرجوه.. نلجأ إليه.. نتضرع إليه.. أن يحفظنا وأبناءنا وأموالنا.. وألا يمنع عنا فضله.. ويرفع عنا رحمته بسبب ذنوبنا وتقصيرنا.. فإن الله مهما قضى من قضاء لا يظلم أحداً.. أبداً.. لا في الدنيا ولا في الآخرة.. هذه عقيدة.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ (النساء: ٤٠).. ومن أسمائه عز وجل.. (الحق - اللطيف - الرؤوف - العفوّ - البَرّ - الرحيم - الغني) فهو سبحانه لا يظلم أحداً.. بل يعامل عباده بهذه الأسماء الحسنى التي مقتضاها.. الرأفة بالعباد.. والرحمة بهم.. والعفو عنهم.. والتفضل

عليهم مهما كان منهم.. فلا تظن أنك ستبلغ مرحلة تكون في غنى عن اللّه عز وجل.. فربما تكون هذه العقيدة سبباً في ابتلاء يجعلك تلجأ لجوءاً دائماً إلى اللّه لا تغفل عنه لحظة واحدة.

كان صاحبي منصتاً منذ بدأت.. الكلام.. أدركت مركبتي.. وانتهى وقت رياضتي.. طلبت إليه أن يزورني لنتابع لحديث.

ودعني بابتسامة حائرة.. لا أدري أقنعته.. أم لا..

أعمال تغفر كل الذنوب

صاحبي يتتبع الأحاديث الغريبة.. لا بمصطلح الحديث.. وإنما تلك التي لا يعرفها عامة الناس، ثم يبحث عن مدى صحتها.. بعد صلاة عصر الجمعة قررنا الذهاب إلى مخيمه في آخر زيارة قبل نهاية موسم النزهات مع أول أبريل.

ـ تعجبني الأحاديث التي تبشر بمغفرة جميع الذنوب.. مثل حديث: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً**» (البخاري).. وحديث: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً**» (البخاري).. وحديث: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً**».. وحديث: «**من وافق تأمينه تأمين الملائكة**» (الشيخان).

ـ وهل هذه الأحاديث صحيحة؟!

ـ هذه كلها في البخاري.

ـ ولكنك تعلم قاعدة الثواب.. أليس كذلك؟

ـ نعم حفظتها من كثرة تكرارك لها: «كمال الأجر مع كمال العمل» ولا ضمان للأجر.. وإنما دعاء.. ورجاء.

قالها بشيء من الإحباط..

ـ إن الفهم الصحيح لهذه الأحاديث وغيرها من أحاديث الثواب.. تبقي المسلم على الطريق الصحيح للتعامل مع الله.. فلا يغتر بكثرة العبادة.. ولا يقنط من كثرة الذنوب.. ولا يتكل على عمله للنجاة يوم

القيامة.. بل يلجأ إلى اللّه.. ويعلم أن رحمة اللّه هي وسيلته الوحيدة للنجاة.. لا عمله.. ومع ذلك يعمل.. لأنه دون عمل لا نجاة بين يدي اللّه.. ومع أن هذه الأحاديث التي يبشر فيها الرسول صلى اللّه عليه وسلم بغفران جميع الذنوب.. تبدو سهلة في ظاهرها.. إلا أنها صعبة المنال في تحقيقها.. مثلاً: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً».. أين كمال الصيام مع الإيمان.. والاحتساب..

قاطعني..

ـ ولكن حديث: «**إذا قال الإمام:** ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ **فقولوا: آمين.. فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**».. (متفق عليه) سهل وميسور..

ـ ومن أين تعرف أن قولك وافق قول الملائكة؟!

ـ أرجو ذلك؟

ـ الشاهد هنا.. أننا نجتهد ونرجو وندعو.. ودعني أزيدك حديثاً آخر في البخاري أيضاً: «**من توضأ وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه**»..

ـ هذه صعبة.. «لا يحدث نفسه»؟

ـ وحديث آخر: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه**»، وهو في الترمذي.. وحديث ثالث: «**من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه**» وهو في سنن أبي داود.

ـ وهل هذان الحديثان صحيحان؟

ـ الثاني معظم رواياته ضعيفة.. ولكن يصل إلى الحسن بالشواهد والمتابعات..

أما الأول فإسناده متصل ورجاله ثقات.. كما بين علماء الحديث ولست منهم.

موانع المغفرة

«ليس للعبد أن يسأل شيئاً.. إن لم يقدم الأسباب».

ـ لا شك أن الدعاء عبادة عظيمة، ولكن معظم الناس يدعون ولا يستجاب لهم؛ لأنهم لم يؤدوا هذه العبادة على وجهها.

ـ أليس الثابت أن «العبد إذا دعا.. استجيب له»؟!.. ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ (غافر).

ـ هذه المقولة قيلت بناء على مقدمات.. أهمها «صحة الدعاء وانتفاء الموانع».

لم يخف صاحبي استغرابه:

ـ هذا أمر جديد.. كيف قلت؟

ـ قلت: إن الدعاء يستجاب.. إذا كان صحيحاً.. وانتفت الموانع.

ـ وكيف يكون الدعاء صحيحاً؟!

ـ أن يسأل الله أمراً جائزاً ممكناً بطريقة صحيحة؛ فلا يسأل الخلود مثلاً، ولا يسأل الله الولد دون زواج، ولا يسأل الرزق دون سعي، ولا يسأل الهداية دون عمل.. هذا أساء في دعائه.

ـ وما الموانع؟

ـ الموانع كثيرة.. مثلاً: من موانع الرزق الوقوع في الذنب، ومن موانع المغفرة الدوام على المعصية، ومن موانع الإجابة ـ عموماً أكل الحرام، ومن موانع التوفيق عقوق الوالدين.

فمن الخطأ أن يعتقد العبد أنه بمجرد الدعاء يستجيب اللّه له، بل يظن بعضهم أنه يستطيع أن يجزم باستجابة الدعاء بناء على أحاديث النبي صلى اللّه عليه وسلم ويُعطى إحدى ثلاث: إما ما سأل، وإما منع مصيبة بقدرها، وإما إدخار في الآخرة.. وهنا يجب أن نضيف رابعة: وإما ألا يستجاب له ابتداء؛ للإخلال بشرط من شروط الدعاء الصحيح.

ـ أنت بهذا تثبط الناس وتمنعهم من الاستبشار بالدعاء!

ـ كلا.. بل أدعوهم إلى أن يكون دعاؤهم صحيحاً ابتداء؛ حتى تتحقق الإجابة.

ـ ولو خصصنا الحديث عن «الاستغفار»؟!

ـ الاستغفار: طلب المغفرة؛ وهو نوع من الذكر، وجاءت أحاديث تبين أن بعض صيغ الاستغفار «مضمونة».. مثل «**اللهم اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» (السلسلة الصحيحة).. «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ أو المسيء فإن ندم واستغفر اللّه منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**» (حسن، السلسلة الصحيحة).. «**من قال: أستغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاثاً، غفرت له ذنوبه وإن كان فارّاً من الزحف**».. صححه الألباني. وهذه الأحاديث وغيرها يجب أن تفهم في الإطار العام للاستغفار.. فالكبائر لابد معها

من توبة، وحقوق الناس لابد من إرجاعها، ومن شروط التوبة العزم على عدم الرجوع إليها؛ فمن لم يحقق هذه الشروط فلن ينال المغفرة، وكما قيل: «استغفار بعضهم يحتاج إلى استغفار».. فالعبد يجب عليه الصدق في تعامله مع الله، وألا تتحول هذه العبادات العظيمة إلى مجرد كلمات جوفاء لا قيمة لها يتلفظ بها بلسانه ولا تتعدى إلى قلبه؛ «فإن الله ينظر إلى قلوبنا».

والملائكة يستغفرون لنا

ـ إن الإيمان بالملائكة الذي هو ركن من أركان الإيمان، لا يتوقف عند الإيمان بوجودهم فحسب.. بل يجب الإيمان بكل التفاصيل التي جاءت في الكتاب والسنة.. بأسمائهم.. صفاتهم.. أعمالهم.. أعدادهم.. خلقهم.. كل شيء ثابت عنهم يجب الإيمان به.

ـ هل الملائكة موجودون بيننا؟!

ـ الموكلون بحفظنا نعم.. والموكلون بكتابة أعمالنا نعم: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ (الرعد: ١١) أي: بأمر الله: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ (ق).. أما أغلب الملائكة فإنهم في السموات... كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «**أتسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء، قال إني: لأسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط وما فيها موضع شبر إلا عليه ملك ساجد أو قائم**» (السلسلة الصحيحة).. فالملائكة تملأ السموات... تعبد الله.. تسبح: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ (الأنبياء).. فالتسبيح لهم كالنفس لنا.. لا ينقطع تسبيحهم أبداً.. لا يضعفون.. ولا يسأمون.. ومن الملائكة من يقوم بتدبير أمر السماء والأرض بإذن الله وبأمره: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ (النازعات)، فمنهم من أوكل بالرياح والسحاب والجبال والنبات والقطر وغير ذلك مما أمرهم الله بتدبيره: ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ (التحريم).

ـ وهل لجميع الملائكة أجنحة؟

- جاء في قول الله تعالي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ (فاطر).. فللملائكة أجنحة.. عددها عند الله.. وثبت أن جبرائيل عليه السلام له ستمائة جناح.

- ومن هم المذكورون في القرآن والسنة من الملائكة؟

- جبرائيل، وميكائيل، ومالك، وملك الموت. إسرافيل (صاحب البوق) - وحملة العرش، وبعض كثير.. وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن أحدهم - «**رجلاه في الأرض السفلى، ورأسه جاوزت السماء السابعة، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام...**» (صحيح الجامع)! وبعض الملائكة يستغفرون لنا: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ (غافر) ويدعون لنا: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾.. ولآبائنا وذرياتنا: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ (غافر)، وأيضاً الملائكة يلعنون الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ (البقرة).. فالملائكة علاقتهم طيبة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة. وعداوتهم شديدة للكافرين في الدنيا والآخـرة.. وحتى في لحظات نـزع الـروح وفي القـبر.. وفي البعث: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ (الأنفال) وبالنسبة للمؤمنين: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ (الرعد)، والملائكة من أشد الخلق خوفاً وخشية لله - عز وجل - يحبون من يحبه الله. ويبغضون من يبغضه الله.

بشرية النبي صلى الله عليه وسلم

جاء رجلان من الأنصار يختصمان إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في مواريث بينهما قد درست، ليس بينهما بيّنة فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**إنكم تختصمون إلي إنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضي لكم على نحو مما أسمع منكم، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها أسطاما في عنقه يوم القيامة**». فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما: حقي لأخي فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «**أما إذ قلتما فاذهبا فاقتسما، ثم توخيا الحق، ثم استهما، ثم يحلل كل واحد منكما صاحبه**» (الشيخان).

- هل معنى ذلك أنه يجوز أن نقول إن الرسول صلى اللّه عليه وسلم يخطئ؟

- على العموم كلا.. بل يجب أن يخصص.. بأنه قد يخطئ في الحكم بين المتخاصمين؛ لأنه يحكم بما يظهر له.. ولا يعلم الغيب.

- وبم أيضا يمكن أن نقول إن الرسول صلى اللّه عليه وسلم يخطئ لأنه بشر؟!

كنت وصاحبي في جولة سريعة لمعرض العطور غايتنا محل واحد نبتاع منه ثم نخرج.. ولكن فشلنا في الحصول على مكان نوقف فيه مركبتنا، فقررنا العودة لندرك صلاة العشاء.. دون قضاء حاجتنا.

- كان رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يطوف في النخل بالمدينة فجعل الناس يقولون: فيها وسق.. فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: «فيها كذا وكذا، فقالوا صدق اللّه ورسوله.. فقال صلى اللّه عليه وسلم: «**إنما أنا بشر فما حدثتكم من الله فهو حق.. وما قلت فيه من قبل نفسي، فإنما أنا بشر أصيب وأخطئ**» (السلسلة الصحيحة).

وكذلك في حادثة تأبير النخل.

- وما هي؟!

- سمع النبي صلى اللّه عليه وسلم أصواتاً فقال ما هذا الصوت؟ قالوا: النخل يؤبرونها، فقال صلى اللّه عليه وسلم لو لم يفعلوا لصلح.. فلم يأبروا عامئذ فصار شيصا فذكروا ذلك للنبي صلى اللّه عليه وسلم فقال: «**إن كان شيئاً من أمر دنياكم، فشأنكم به، وإن كان من أمور دينكم فإليّ**».. ابن ماجه (صححه الألباني).

تابعت حديثي.. وقد تسهلت الأمور فخرجنا من زحام المركبات، متجهين إلى الطريق السريع.

- وكذلك النبي صلى اللّه عليه وسلم بشر في غضبه وفرحه وحزنه وهمه.. كما حصل معه في حادثة الإفك.. وكذلك عندما توفي ابنه إبراهيم.. فإنه صلى اللّه عليه وسلم بكى.. فقيل له.. أنت أحق من عظم اللّه حقه.. أتبكي وأنت رسول اللّه؟ فقال صلى اللّه عليه وسلم: «**تدمع العين.. ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب، لولا أنه وعد صادق وموعود جامع وأن الآخر تابع للأول لوجدنا عليك يا إبراهيم أفضل مما وجدنا، وإنا لك لمحزونون**» (مسلم).

وكذلك في غضبه.. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه فلعنهما وسبهما، فلما خرجا قالت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئاً ما أصاب هذان؟ قال: وما ذاك؟ قالت: لعنتهما وسببتهما.. قال: أوَمَا علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلت: فإنما أنا بشر، فأى المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً.. وفي رواية: «**اللهم إني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة**» (متفق عليه) فهذه الأمور وقعت من النبي صلى الله عليه وسلم.. ولا تقلل من قدره ومكانته عند الله تعالى وعند المسلمين جميعاً.. بل هو بشر، ولكنه خير البشر.. وخُلُقه أكرم خلق وأعظمه.. ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ (القلم)، أما في الرسالة فهو الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يوحى إليه.. ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** ﴿٣﴾ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴿٤﴾ ﴾ (النجم)، فكل ما قاله حق.. وما نطق به صدق.. وبلغ كل شيء أكمل تبليغ.. وأدى الرسالة أكمل أداء صلى الله عليه وآله وسلم.

حب الرسول صلى الله عليه وسلم.. أغنية

الوقت.. بعد الثامنة مساء.

اليوم.. الأربعاء.

المكان.. «الرسالة».

حفل غنائي «أناشيد ملحنة» كان المنشد أو المغني شاباً عَرّفه بعضهم بإسم «حمادة»، وتدور الكاميرا لتنقل صور الحضور.. الـ «الشخصيات الهامة»: (الجفري.. الهنيدي.. صالح) ممثلة معتزلة لم أعرفها.. وتعمل الكاميرا «زووم» لتظهر الدموع التي احتبست في مقل هؤلاء وغيرهم.. و«حمادة» ينشد أو يغني.. بوصف الرسول صلى الله عليه وسلم وفي هذا الجو المفعم بالمشاعر والعواطف يقول مطربهم في كمال خلق النبي صلى الله عليه وسلم: «فأنت خلقت كما تشاء».. ويزداد الحضور تأثراً..

تذكرت هنا مقولة الأوزاعي: «بلغني أن من ابتدع بدعة خلاّة الشيطان وبدعته وألقى عليه الخشوع والبكاء لكي يصطاد منه».

عاتبني أحدهم لشدة الكلمات التي تلفظت بها..

ـ حقيقة لا أدري كيف اجتمع من يدعو إلى الأخلاق الفاضلة.. مع من يمثل الأفلام الهابطة.. مع من يغني «كل شيء».. و«أي شيء».. مع من يجمع الناس في حلقات ذكر.. لا أدري كيف اجتمعوا في مكان واحد وزمان واحد.. وزعموا أن الذي جمعهم حب النبي صلى الله عليه وسلم..

وتسألهم.. كيف يكون حب النبي صلى اللّه عليه وسلم؟.. هنا تتمعر الوجوه.. وتتقطب الحواجب.. ويتطاير الغضب من الأعين.. وتُرمى بأنك تمزق الصف.. وتشتت الأمة.. وتنشر الفتنة.

- هؤلاء اجتمعوا بحسن نية.. يريدون ذكر شمائل الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

- ألا يريدون التقرب إلى اللّه بذلك؟

- بلي..

- إذاً يريدون الأجر.. وزيادة حب النبي صلى اللّه عليه وسلم.. حتى ينالوا شفاعته والقرب منه يوم القيامة.. أليس كذلك؟

- بلى.. ولقد صرح «حمادة» بعد وصلته التي تأثر بها الجمهور وأثنى عليها مقدم الحفل.. بأنه يأمل أن يجمعهم اللّه مع رسوله صلى اللّه عليه وسلم يوم القيامة.

- وهل هذا هو السبيل المؤدي إلى تحقيق هذه الأمنية: مسرح.. ومؤثرات صوتية.. ومطرب.. وممثلون.. وإضاءة.. وكلمات شركية.. وتصفيق.

إذا كان هذا هو الطريق لشفاعة النبي صلى اللّه عليه وسلم ولورود حوضه فما أجمله من طريق.. إني أقسم غير شاك ولا متردد.. أن ما يفعله هؤلاء لا يرضاه اللّه.. ولا يقره رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.. بل يتبرأ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من كل مبتدع.. وهو

الذي يقول صلى اللّه عليه وسلم: «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، وإنما قولوا عبداللّه ورسوله**» (عن عمر بن الخطاب (البخاري).. زد على أن الإطراء وصل إلى حد الشرك.. وأناس لا يتورعون عن وصف الرسول صلى اللّه عليه وسلم بأنه (الملاذ في الحادث الجلل).. (ولا أحد لهم سواه يوم اشتداد الكرب).. وأنه (لولاه ما خلق اللّه الأكوان)، وهكذا أقوال ترفع النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى مقام الألوهية.. وما هو إلا بشر.. خير البشر نعم.. ولكنه بشر.. لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.. ولا يعلم شيئاً من الغيب.. ولا يملك جنة ولا ناراً.. ولا رحمة ولا غفراناً.. بل الأمر كله للّه.. وهو القائل صلى اللّه عليه وسلم: «**واللّه لا أدري واللّه لا أدري وأنا رسول اللّه ما يفعل بي ولا بكم**» (البخاري).. وصدق اللّه العظيم حيث يقول: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ (الانفطار).

العقيدة في الأنبياء ـ عليهم السلام ـ

في طريقي إلى المطار للرجوع إلى الكويت سألت سائق الأجرة بعد أن تبينت أنه «متدين»..

ـ وماذا تقول في داود عليه السلام؟

ـ نحن نؤمن به.. ولكنه كان صاحب هوى.. حيث أنه أعجب بزوجة أحد جنوده فأرسله إلى الجبهة الأمامية ليقتل ويأخذ زوجته رغم أنه لديه تسعا وتسعين امرأة..

أزعجني كلامه عن نبي الله داود ـ عليه السلام..

ـ ولكن.. أجد من الصعب أن أقبل هذه العقيدة وذلك لأن الأنبياء والرسل هم صفوة البشر.. وهذا الخُلق والتصرف الذي ذكرته لا يمكن أن يقبله أحد منا على نفسه.. ولا يمكن أن يرتكبه رجل عادي ذو خلق سليم.. فكيف يقع من نبي أرسله الله عز جل لهداية الناس وليكون لهم قدوة وأسوة..

سكت صاحبي.. ثم أجاب..

ـ ولكن هكذا قرأت في الكتب الدينية التي اطلعت عليها..

ـ لابد من وجود خطأ ما.. في مكان ما.. أما في كتب الإسلام الصحيحة.. فهذه الأخبار لا تنسب إلى داوود..

قاطعني..

ـ فما الذي ينسب إليه في قصة المتخاصمين؟!

ـ الأمر كما جاء في القرآن.. أن رجلين أخوين اختصما إلى داود.. أحدهما لديه تسع وتسعون نعجة.. والآخر لديه نعجة واحدة.. وأراد صاحب النعاج أن يضم النعجة إلى نعاجه.. فاستمع داوود عليه السلام إلى الفقير.. وحكم له.. دون أن يستمع إلى الآخر.. وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه.. فالحاكم إذا أراد أن يصدر حكماً لابد أن يستمع إلى الجميع.. ولا يتعاطف مع الضعيف ضد القوي.. ولا مع الفقير ضد الغني.. ولذلك أخبر الله داود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (ص).

أخذ صاحبي يراجع نفسه..

ـ يبدو رأيك صحيحاً.. ولكننا تعودنا.. وقبلنا تلك القصة منذ نعومة أظفارنا.. ولكن قولك أقرب إلى العقل والمنطق..

ـ وكذلك ما يقال عن نبي الله لوط.. عليه السلام.. عندما أتاه قومه يهرعون إليه يريدون ارتكاب الفاحشة.. قال لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ (هود).. وقال: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ (الحجر).

قاطعني..

ـ نعم قرأت هذه القصة.. وأن هذا النبي عرض بناته على قومه..

أزعجني.. فقاطعته..

- وهل يعقل أن يعرض رجل سوي.. فضلاً عن نبي كريم.. بناته على أحد للفاحشة؟

- كلا..

- إذن كيف ترضى أن تصف نبياً من الأنبياء بهذه الصفة..

- هكذا هي القصة تروى في الكتب التي أقرؤها..

- هذا كذب وافتراء دون شك.. والحق في ذلك أن نبي الله لوط.. عليه السلام.. أرشد قومه إلى الزواج من بنات القرية.. وذلك أن نبي القوم بمنزلة الأب لهم.. ونحن في قرآننا يقول الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ (الأحزاب: ٦).. وفي بعض القراءات (وهو أب لهم) (وهو أحد الأحرف الأولى من القرآن).. فالحق أن لوطاً.. عليه السلام.. نهى أهل قريته عن الفاحشة وأرشدهم إلى الطاعة والطهارة.. بالزواج الشرعي..

- سكت صاحبي ولم يجب.. تابعت حديثي.

- دعني أعطيك قاعدة للعقيدة في الأنبياء والرسل.. ابتداء هم خير البشر.. وهم منزهون عن الفواحش.. وما لا يقع من كرام الرجال لا يقع من الأنبياء من باب أولى.. وما يتصف به كرام الرجال يتصف به الأنبياء من باب أولى.. وهم القدوات للبشر فلا ينسب لهم عيب ولا نقص..

كلام الله لموسى (عليه السلام)

ـ هل سمع موسى حقيقة كلام الله عز وجل؟

ـ نعم دون أدنى شك، قد أثبت الله ذلك في كتابه العزيز ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ (النساء).. وذلك إثباتاً أن الأمر كان كلاماً واضحاً لا وحياً ولا رمزاً وكانت أول حادثة لسماع موسى كلام الله عز وجل، عندما كان مع زوجته (ابنة لوط).. فرأى ناراً.. ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ١٠﴾ (طه). فاقترب موسى من هذه النار.. فلم يجد أحدا وسمع: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾ (النمل). ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ (القصص) ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ (طه). ثم سأله الله عز وجل: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾ (طه). وأمره: ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩﴾ (طه) ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١﴾ (القصص). فرجع إلى مقامه الأول.. وأمره عز وجل ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾ (طه).. فأخذها موسى فإذا الحية العظيمة ترجع عصا في يده. كان المستمعون بنات الأخوات والإخوان.. طلبت أم إحداهن أن أحدثهم عن قصة موسى.. سألتني غدير..

ـ هل كانت هذه هي بداية بعثة موسى عليه السلام؟

ـ نعم.. كانت أول مرة يسمع فيها كلام اللّه.. وأول مرة يتلقى الأمر من اللّه ليذهب إلى فرعون يدعوه إلى التوحيد.

تابعت حديثي..

ـ وبعد أن أخذ موسى عصاه أمره اللّه عز وجل: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ (القصص)، فأدخل موسى يده في فتحة ثوبه ثم أخرجها فإذا هي بيضاء تتلألأ، ثم أرجعها فإذا هي كما كانت.. وكان موسى أسمر لون البشرة.. لعل لونه مثل.. نظرت فيهن.. أبحث عن أكثرهن سمرة.. ثم استدركت..

ـ مثل خالكم (عبد اللّه).

فكانت هذه الكلمات هي أول ما سمع موسى من اللّه مباشرة.. دون وحي ودون واسطة يقظة لا مناماً.. حقيقة لا خيالاً.

ـ ثم قال له اللّه عز وجل: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (طه). أي لدعوته إلى عبادة اللّه وترك بني إسرائيل.. وذلك بأن يرى أنك رسول من عند اللّه بهاتين الآيتين العظيمتين (العصا واليد).. فذكر موسى للّه عز وجل

قاطعتني (لولوة)..

ـ هل كان موسى يتحدث لجهة معينة.. أم إلى السماء؟!

ـ عندما رأى موسى النار واقترب منها.. رآها تشتعل في شجرة

خضراء فلما اقترب أكثر.. سمع الصوت من جانب الوادي من ناحية الغرب.. فكان يرد على مصدر الصوت دون أن يرى الله عز وجل..

ثم بعد أن طلب موسى إلى الله أن يؤيده بأخيه هارون عليه السلام لأنه أفصح منه لسانا.. قال له الله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ (طه).

ـ وهل استمر وحي الله لموسى بالكلام مباشرة؟

ـ كلا.. وإنما كان الكلام أحياناً.. والوحي معظم الأحيان.. وأتته تعاليم الله في ألواح وسوف أشرح لكم الأمر بالتفصيل مرة أخرى.. ولكن أمر الله موسى أن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون.. وأمرهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه).

ـ ومتى كلم الله موسى بعد ذلك؟

ـ كلمه عندما أمره أن يأتيه وحده ثلاثين ليلة.. ثم أكملها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة.. وترك موسى أخاه هارون عند بني إسرائيل فعندما جاء إلى المكان الذي وعده الله كلم الله موسى.. فقال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ (الأعراف: ١٤٣) وذلك أنه كان يسمع الصوت منذ بعثه الله تعالى فظن أنه إن كان من الممكن أن يرى الله.. فأتاه

الجواب ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.. بهيئتك البشرية في الدنيا ولتأكيد ذلك تجلى اللّه قدر الخنصر للجبل العظيم.. فأصبح تراباً.. وصعق موسى.. ثم بعد أن أفاق كلمه اللّه تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (الأعراف).. وأنزل اللّه عز وجل عليه الألواح وفيها التعاليم التي أمره اللّه بها.

أدعية الأنبياء

«**الدعاء هو العبادة**». (صحيح الترغيب والترهيب).

يحرص صاحبي على رفع يديه بعد كل صلاة ـ فرض أو نافلة ـ يدعو اللّه تبارك وتعالى... وربما بقي رافعاً يديه لدقائق بين الأذان والإقامة يلهج بالدعاء..

اجتمعنا في المسجد بعد صلاة المغرب وكانت نيتي أن أمكث حتى صلاة العشاء.. كان صاحبي في طريقه للخروج من المسجد.. فلما انتبه إلي جالساً.. أتاني.. جلس وهو ينظر إلى ساعته..

ـ سأمكث عشر دقائق ـ على الكثير ـ لدي مسألة أريد رأيك فيها .. وضعت المصحف على المنضدة بجواري .. أعرته انتباهي ..

ـ ما معنى دعاء الحاجة ودعاء العبادة.. والفرق بينهما؟! فقد سمعت في إذاعة القرآن شيخاً يقول .. (وأجمع العلماء أن دعاء العبادة أفضل من دعاء الحاجة)... ولم أعرف اسم الشيخ المتحدث.

اعتدلت في جلستي...

ـ دعاء العبادة أن تذكر اللّه وتثني عليه دون ذكر مباشر لمرادك ودعاء الحاجة أن تسأل اللّه أن يقضي حاجتك من شفاء مرض أو رزق حلال أو صلاح ولد... إلى غير ذلك من حاجات البشر...

ـ ولماذا كان الأول أفضل؟!

ـ دعاء العبادة أفضل لأنه أحب إلى اللّه.. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (لأن السائل غايته حصول مطلوبه ومحبوبه هو أما المثني على اللّه فهو ذاكر لما يحبه اللّه لا لما يحبه العبد فلذلك ينال مراده وأكثر)... وكذلك دعاء العبادة هو الذي لجأ إليه الأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين...

ـ هل لك أن تزيدني توضيحاً...

ـ لنبدأ بقول اللّه تعالى... في سورة نوح ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ (نوح) فأمر نوح قومه بالإكثار من الاستغفار وأخبرهم أن نتيجة الاستغفار (الغيث والمال والبنون والجنات والأنهار)...

وهذا دعاء عبادة... وهو كثرة الاستغفار... فمن أكثر من الاستغفار أعطاه اللّه من كل خير... ومن أمثلة دعاء العبادة كثرة الصلاة على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم... كما في حديث أُبيّ عندما استشار الرسول صلى اللّه عليه وسلم في أن يجعل دعاءه كله الصلاة عليه فبشّره الرسول صلى الله عليه وسلم.. «**إذن تكف همّ الدنيا والآخرة**» (حسنه الألباني)... ولو تتبعنا أدعية الأنبياء في القرآن... مثلاً دعاء ذي النون في بطن الحوت لم يكن اللهم نجني من هذه الظلمات.. وإنما ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (الأنبياء).... فاستجاب اللّه له.. وإبراهيم عليه

السلام عندما ألقى في النار لم يقل اللهم نجني من النار... وإنما قال: «**حسبي الله ونعم الوكيل**» (البخاري). وأيوب عليه السلام وقد مسه الضر سنوات طويلة قال: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنبياء)... والرسول صلى الله عليه وسلم إذا أصابه كرب كان دعاؤه.. «**لا إله إلا الله الحليم العظيم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم**» (متفق عليه)..

وهكذا كان دعاء الأنبياء وهو أبلغ الدعاء.. ثناء على الله... ولجوء إلى الله بصفاته دون ذكر مباشر للحاجة... فلا ينبغي للمؤمن أن يلجأ إلى الله وقت الحاجة فقط يرجو قضاء حاجته فإن الكافر كذلك يلجأ إلى الله إذا تقطعت به الأسباب.. وإنما المؤمن يكون على ذكر دائم لله عز وجل فمن عرف الله في الرخاء عرفه الله في الشدة.

الإيمان باليوم الآخر

- ومن الإيمان باليوم الآخر اليقين بحياة البرزخ وهي حياة الإنسان منذ موته وإلى بعثه.. خروج الروح.. صعودها إلى السموات أعلى عليين أو هبوطها أسفل سافلين.. وما بين ذلك.. سؤال القبر.. «**من ربك؟**».. «**ما دينك؟**».. «**ما تقول في هذا الرجل؟**» (متفق عليه).. عذاب القبر ونعيمه.. ضمة القبر.. الاطلاع على مكان الإنسان في الجنة وفي النار ومكان الأرواح.

استوقفني..

- هذا موضوع مثير.. (مكان الأرواح بعد الموت).. أين يكون؟

- أنت تعلم أن هذا من الأمور الغيبية التي لا نتكلم بها إلا بدليل..

- لنذكر الأدلة التي صحت في هذا الباب، قال العلماء: إن الأرواح تتفاوت أحوالها تفاوتاً كبيراً.. فأرواح الشهداء الذين أخلصوا لله شهادة صحيحة «**في حواصل طير خضر تسرح في الجنة**» (السلسلة الصحيحة).. وأرواح المؤمنين في عليين معلقة في قناديل في الجنة.. وأرواح الأشرار والكافرين في (أسفل السافلين) وقال بعضهم: إن بعض الأرواح ربما تكون في بعض الأحيان على أفنية المقابر بعد أن ينتهي عذابها.

- كيف ذلك؟

- أعني أن عذاب القبر أنواع.. معظمه ينتهي بعد حين.. كالذي يعذب بسبب النميمة.. أو عدم التطهر من البول.. أو الغلول.. أو التعامل بالربا.. أو الزنا.. أو الكذب.. إذا كان المرء مسلماً ينتهي هذا العذاب

على قدر الذنب..وربما يخفف العذاب بالدعاء للميت.. والصدقة عنه.. وإنفاذ وعده.. وأداء دينه.. وإتمام نذره.. وأداء فرضه.. كل هذه الأعمال تخفف من العذاب في القبر.. والذنب الذي يعذب عليه الإنسان في قبره لا يحاسب عليه يوم القيامة.. وربما تلتقي أرواح الأموات بأرواح الأحياء أثناء المنام.. وربما تلتقي أرواح الأموات بعضها ببعض.. ومع كل ذلك فإن روح الميت تكون مرتبطة بجسده بطريقة يكون فيها النعيم للجسد والروح معاً.. وكذلك العذاب.. مع أننا لا نعلم هذه الكيفية.. ولكننا نؤمن بذلك وإن بلي الجسد بعد حين.. أو حتى لو تناثرت الأشلاء أثناء الموت ولم يوجد جسد ليدفن.. فالسؤال في القبر باق.. وكذلك إجلاس الميت.. وكذلك النعيم والعذاب.. وكل ذلك من الغيب الذي نؤمن به.. وهو من الإيمان باليوم الآخر.

- وهل أرواح العصاة تعذب مع أجسادهم؟!

- نعم.. دون شك.. فالرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أن الزناة في تنور تسعرهم النار.. وآكل الربا في بحر من الدم.. كلما بلغ الساحل رماه ملك بحجر فأرجعه حيث كان.. وفم الكاذب تشرشر من جانب الفك إلى القفا.. ثم من الجانب الآخر إلى القفا.. والذي ينام عن الصلاة يستلقي ويقوم ملك على رأسه يشدخه بحجر.. فيتدحرج الحجر فيأتي به الملك فيكون الرأس رجع إلى حاله فيشدخه مرة أخرى وهكذا (البخاري).. وهذا العذاب للروح والجسد جميعاً بكيفية لا نعلمها ولكن نؤمن بها.. فهذه الأرواح ليس لها أن تكون في أي مكان إلا في مكان عذابها إلى أن تنال ما تستحق..

قيامتك يوم موتك..

بعد صلاة العصر ذهبت وصاحبي لعزاء أحد الإخوة بوفاة زوجته..

ـ هل يستطيع أحدنا أن يجزم أن غداً ليس يوم القيامة؟

ـ نعم.. فالقيامة تسبقها علامات كبرى واضحة نؤمن بها كخروج يأجوج ومأجوج.. ونزول عيسى لقتل المسيح الدجال.. وخروج الدابة.. وطلوع الشمس من مغربها.. ثم القيامة لا تقوم إلا على «**لكع بن لكع**» (سنن الترمذي صححه الألباني).. وعندما لا يقال في الأرض «**الله.. الله**» (السلسلة الصحيحة).. ولكن الأهم من معرفة متى تقوم الساعة.. الاستعداد لها.

وذلك أن قيامة الإنسان تقوم لحظة موته..

ـ هل تعني أن الحساب يبدأ لحظة الموت؟!

ـ نعم.. بعض الذنوب ينال الإنسان عذابها في القبر.. وأنت تعلم أن في القبر نعيماً وعذاباً.. يطول أو يقصر على حسب حال الإنسان.. ثم تكون فترة انتظار لقيام الساعة..

أبدى صاحبي استغرابه من مقالتي..

ـ أليس النعيم أو العذاب دائم إلى قيام الساعة؟!

ـ كل أحد ينال ما يستحق في قبره.. وفي تفسير قوله تعالى في سورة يس: ﴿قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾.. قال أبي بن كعب.. ومجاهد.. والحسن.. ينامون

نومة قبل البعث قال قتادة.. وذلك بين النفختين.. ولذلك وصفوا حالهم في القبر أنهم (رقدوا).. وعلى آية حال فالعقيدة أن المرء ينال جزاء بعض الأعمال في القبر (كالنميمة) و(عدم التطهر من البول).. وما يعذب عليه لا يحاسب عليه يوم القيامة.. أما الصلاة.. والزكاة.. والرياء والصيام.. والغدر.. والزنا.. وشرب الخمر.. وعامة الأعمال الصالحة والسيئة.. فإنها توزن يوم القيامة.. فإن رجحت الحسنات دخل الجنة.. وإن رجحت السيئات دخل النار على قدر ما يستحق.. وإن تساوت كان من أصحاب الأعراف..

قاطعني وكنا قد بلغنا المنزل للعزاء..

- وهل لكل عمل وزن؟!

- بالطبع.. وأثقل الأعمال يوم القيامة التوحيد.. فلا أثقل من (لا إله إلا اللّه).. إذا أداها الإنسان بصورة صحيحة ولم ينقضها.. ثم بعد العقيدة عموماً.. تأتي العبادات وأثقلها الصلاة.. وليس وزن صلاة كل أحد سواء.. بل صلاة المرء نفسه تزداد وزناً أو ثقلاً حسب حاله في الصلاة كما أخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن أحوال من يخرج من صلاته ليس له منها شيء.. ثم تأتي بقية الفرائض.. ثم تأتي الأخلاق.

«**فليس شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق**» (السلسلة الصحيحة). ولا شك أن وزن الصدق والأمانة أعظم من وزن الكرم والشجاعة.. فالأخلاق أيضاً تتفاوت في أوزانها.. ولكن لنرجع إلى ما بدأنا به.. وهو أن قيامة المرء تبدأ بموته.. وساعة الموت لا

يعلمها إلا الله.. فالنتيجة.. تقوم القيامة على أحدنا في أية لحظة.. مع أننا نجزم أن القيامة الكبرى لا تقوم غداً!!

إلتفت إلي صاحبي مبتسماً.. يكرر ما قلت..

- «قيامة كل أحد تقوم في أية لحظة.. ونجزم أن القيامة لن تقوم غداً» عبارة سوف أحفظها..

رهبة الموت

كنت وصاحبي الإندونيسي في طريقنا لحضور الفترة المسائية من المؤتمر.. كنا قد قطعنا المسافة في اليوم السابق بعشر دقائق.. ولكن هذه المرة بدا وكأن الأمر سيستغرق أكثر من ساعة لشدة زحام المركبات.. حدثتني نفسي بالترجل من المركبة والذهاب إلى المؤتمر سيراً على الأقدام..

- بالتأكيد هناك حادث مروري..

كان صاحبي يحاول أن يخفف عني، حيث إني لم أخف ضجري.. لم أرد عليه.. سمح لنا الضوء الأخضر بالمرور من التقاطع الرئيس.. وإذا على الرصيف الفاصل بين الطريقين رجل مسجى على الأرض.. أتى أحدهم.. أمسك بمعصمه.. ثم تركه دون اكتراث.. ووضع إصبعه على جفني المسجى وأغمض عينيه.. علامة على أنه توفي..

تملكني شعور من الرهبة.. والحزن.. والهيبة.. ولكني لم أتكلم.. بعد برهة قصيرة من الصمت.. بدأ صاحبي..

- إنه منظر يصيبني بالحزن الشديد.. والخوف.. فقد تعرضت لحادث مروري قبل أربع سنوات، وكنت أقود (موتور سيكل). وكدت أموت.. ومن قبلها توفيت زوجتي الأولى.. بطريقة مشابهة عندما دهسها قائد مركبة وهي تحاول عبور الطريق..

- للموت رهبة.. مهما يكن الإنسان بعيداً عن الدين.. ومهما يكن

منغمساً في الدنيا عندما ينزل الموت بساحته في صديق أو قريب.. يصيبه شعور ينبغي أن يتوقف عنده.. بعض الناس يحزن.. وربما حزنه يطول لأشهر أو سنوات. وبعضهم يغضب.. وبعضهم يحتار.. ولكن المؤمن يعتبر.. نعم.. مهما كان المتوفى فإن في الموت عبرة.. هذا الرجل كتب عليه أن يموت هنا في هذه اللحظة دون تقديم أو تأخير.. وهكذا كل أحد منا.. كتبت ساعته.. ومكان موته.. والخاسر.. هو من يمر على (مصيبة الموت) وهو غافل.. لا يرى فيها إلا ظاهرة طبيعية تصيب كل كائن حي..

شعرت أن صاحبي لا يستمع إلي.. سرح بعيداً..

ـ عندما بلغني نبأ وفاة زوجتي الأولى.. أصابني الذهول بادئ الأمر.. وعجزت قدماي عن حملي.. وكان الذي أخبرني هو والدها.. وبعد لحظة ذكرني بالله.. والاسترجاع والحوقلة.. فهدأت نفسي.. ولكن الشعور الأول الذي انتابني ما زال يراودني كلما رأيت مثل هذا المشهد..

ـ إن الموت هو الأمر الذي لا يمكن لأحد أن يتحداه.. فإما أن يتعامل معه بطريقة إيجابية تنفعه.. وإما أن يتجاهله.. وإما أن (يسيء) التعامل معه.. فيزداد حاله سوءاً.. وللموت رهبة في قلوب المؤمنين.. ومن فضل الله علينا أن أعلمنا بتفاصيل الأمر.. من حيث حتميته.. وقربه.. وأنه سبحانه هو الذي يملكه لا أحد من الخلق.. وأخبرنا كيف يحدث.. وما الذي يحدث.. أثناءه وبعده مباشرة.. وبعده لفترة.. وكل ذلك من الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به.. وجعل الله الإيمان بالغيب أول صفات عباده المؤمنين.. وهذا ليس إلا للمؤمن حتى إذا كان المتوفى كافراً.. فإن المؤمن

يعتبر.. ويتذكر.. ويضع الأمور في نصابها.. فلا يغتر بالدنيا.. لأن نهايته فيها قريبة.. ولابد منها.. فإن كان غافلاً يتذكر.. وإن كان ظالماً يتوقف.. وإن كان مسرفاً يتوب.. وإن كان متكاسلاً ينشط.. وكل ذلك يحقق له مصلحة في دينه ودنياه.. ولذلك برر النبي صلى الله عليه وسلم زيارة القبور.. لأنها (تذكر الموت) فكيف إذا رأيت الموت في الشارع.. أو مكان العمل.. أو المستشفى.. أو الملعب.. تخيل.. رجل في قمة نشاطه وعطائه البدني.. وبينما هو يمارس الرياضة (يموت).. ورجل يخلد إلى فراشه صحيحاً معافاً.. يضحك مسروراً قبل أن ينام.. ثم لا يصحو (يموت).. ورجل يقود مركبته.. لإنهاء بعض أعماله (يموت).. والسعيد من مات على طاعة..

ـ وما معنى الحديث: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**» (متفق عليه) هل هو حب الموت؟!

ـ كلا.. فإن المرء لا يتمنى الموت ولا ينبغي الدعاء به.. ولكن المؤمن بعد لحظات الاحتضار تأتيه البشرى برضا الله.. بأن يرى الملائكة البيض الوجوه.. الطيبة الرائحة.. فيحب لقاء الله.. ويحب الله لقاءه.. أما قبل ذلك فإن الخوف من الموت خوف فطري لا ينافي كمال العقيدة.

أشراط الساعة. حقيقة

ـ هل نستطيع أن نجزم بأن القيامة لن تقوم بعد سنة؟

ـ طبعاً.. وأقسم على ذلك.. كما كان يفعل بعض الصحابة.. ولكن لماذا السؤال؟

ـ لأني قرأت أن من صفات قيامها المفاجأة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ (الأعراف).

كنت وصاحبي في جلسة هادئة في أحد المقاهي الشعبية المطلة على البحر:

ـ نعم ستكون مباغتة ومفاجأة لمن تقوم عليهم (وهم شرار الناس)، حتى أنهم يكونون يتبايعون في الأسواق ومشغولون ببناء بيوتهم فتقوم عليهم الساعة.. فهي مباغتة لأولئك.. ومن صفاتها أنها قريبة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ (القمر)، وذلك منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.. فهي قريبة بمعنى آتية لا ريب فيها، وكل ما هو آت فهو قريب.. أو بأيام الله.. فلا حدث عظيم بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلا قيام الساعة.. ولكن نؤمن أن قبلها علامات كبرى واضحة: كطلوع الشمس من مغربها.. وخروج يأجوج ومأجوج.. ونزول المسيح عليه السلام، وقتله للمسيح الدجال، وخروج الدابة.. والنار التي تحشر الناس.

قاطعني:

ـ ولكن.. سمعت تأويلات هذه العلامات ولا سيما الدابة والنار.. بأنها ليست دابة حقيقية.. بل شيء آخر من الاختراعات الحديثة كالكمبيوتر.. والتلفاز.. وغيرهما.

ـ كلا.. بل أشراط الساعة كلها ستقع إن شاء الله، حقيقة دون تأويل ولا تحريف.. فالدابة جاء فيها قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ (النمل)، وأحاديث صحيحة، في صفاتها.. ومكان خروجها.. وما تعمله.

ـ أعطني شيئاً من هذا.

ـ أولاً في تفسير الآية التي ذكرت جاء عن ابن عباس: (تكلمهم): تكتب على جبين الكافر (كافر) وعلى جبين المؤمن (مؤمن).. وتناديهم بهاتين الصفتين.. وفي الحديث: «**ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها على الله المسجد الحرام، لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام تنفض التراب عن رأسها؛ فيركض الناس منها وتثبت عصابة من المؤمنين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري...**» (صحيح بتعليق الذهبي على شرط الشيخين، الطيالسي)، قال ابن عمر: تخرج من جبل الصفا.. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: لو شئت أن أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت.

قال متعجباً:

- سبحان اللّه.. وماذا يفعل الناس بعد أن تسمُهُم بالكفر الإيمان؟!

- لا شيء.. بل يقبل الجميع «الأمر».. حتى يتنادى الناس.. يقولون: «أعطني يا كافر».. «اقض لي يا مؤمن».

- سبحان اللّه!

- لا عجب.. فأمور الآخرة فيها ما لا يمكن أن نقبله إلا بإيماننا.. بالكتاب والسنة.. فنؤمن بما جاء كما جاء.. وإن كنا لن ندركه.. ويبقى سؤال المؤمن دائماً.. ليس (متى الساعة؟)، بل: (ماذا أعددت لها؟) لأن ساعة كل منا تقوم عند موته.

الجنة حق.. والنار حق

- اعلم أن الحق.. كل موجود متحقق.. أو ما سيوجد لا محالة.. والله قال عن نفسه عز وجل.. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ (الحج)، وقال أيضاً: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ (النور)، ذلك أن الله الموجود الأزلي الأبدي دون ابتداء ولا انتهاء.. و«الحق» اسم من أسماء الله تعالى..

- ولكن وصف الجنة بالحق أمر يختلف؟

- طبعاً.. وذلك أن الجنة مخلوق من مخلوقات الله.. فمعنى الحق لله عز وجل يختلف عن الحق للجنة.. فمعنى الإيمان بأن الجنة حق أي أنها موجودة متحققة لا شك فيها.. وكذلك النار.

- وهل الإيمان بالتفاصيل.. بمعنى الإيمان بأنهار الجنة.. وقصورها.. وثمارها.. وظلها.. وتربتها.. وثياب أهلها.. وغير ذلك.. من الإيمان بأن الجنة حق؟

- كل ما ورد في وصف الجنة من آيات القرآن الكريم.. وأحاديث صحيحة، يجب الإيمان به.. ومن أنكر شيئاً ثبت في كتاب الله فقد كفر.. مثلاً من أنكر أن في الجنة أنهاراً.. ومن أنكر أن في الجنة أكلاً وثماراً.. هذا من إنكار القرآن يكفر صاحبه..

- وماذا عن النار؟

وصاحبي من الذين يدعون إلى عدم تخويف الناس بالنار والعذاب..

ـ كذلك النار حق.. الله سبحانه وتعالى يذكر لنا النار كما الجنة.. بل ربما لا تجد ذكراً للجنة إلا والنار بعدها.. أو قبلها.. كقوله تعالى بعد أن ذكر نعيم الجنة.. ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾﴾ (الصافات)، وقال تبارك وتعالى: ﴿۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ (الرعد)، وقال عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ (الزمر)، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (يس).. ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (يس).

فلا ينبغي أن نؤمن بالجنة وننسى النار.. ونؤمن بالنار وننسى الجنة.. كلتاهما حق.. موجود سيتحقق لا محالة.. فالمنهج الصحيح أن يرغب المرء في الجنة.. ويرهب النار.. لا يضمن الجنة.. ولا ييأس من نيلها.

ـ آيات القرآن تذكر أحداث القيامة وكأنها وقعت.. كما ذكرت من آيات سورة الزمر.. وكما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (يس).

ـ نعم.. وذلك أنها يقينا ستقع.. فكأنما وقعت حقا.. هكذا ينبغي الإيمان بها.. دون أدنى شك.. بل نتعامل معها كما ذكرها الله.. وهذا أسلوب يفيد كثيراً من النفوس.. بل أغلبها.. ولكن دعني أذكر لك الحديث

كاملاً من صحيح مسلم.. «**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة شاء**».. وسمى (عيسى) كلمة الله.. لأنه خلق بالكلمة.. التي هي (كن).. وروح منه.. أي نفخ فيه الروح من دون أب وقيل روح منه.. أي روح خلقها الله.. والإضافة (لله) إضافة تشريف.. وإلا فكل شيء في الكون خلقه الله.. ولكنه شرف بعض مخلوقاته بنسبتها إليه سبحانه وتعالى.

بماذا ترجو دخول الجنة؟

كثيراً ما تصلني مكالمات هاتفية من نساء يطلبن المساعدة المادية، اجتهد قدر استطاعتي لتحقيقها عن طريق أهل الخير.. في رمضان الفائت قمنا بتوزيع إفطار الصائم على عوائل محتاجة، بقيت عائلتان لم يكن لهما سبيل للحضور إلى مركز التوزيع، فتكفل صاحبي بإيصالها إليهم في منطقة الفنطاس.. شكرت له عمله.

ـ لم أفعل شيئاً يذكر..

ـ بل عملت عملاً عظيماً ربما يكون سبباً لدخولك الجنة.

استغرب صاحبي.. وظن أنني أبالغ في مجاملته.. ابتسم.

ـ توصيلة لم تستغرق ساعة ذهابا وإيابا.. تدخلني الجنة؟

ـ نعم.. قد تكون السبب الذي يدخلك الجنة.. فإن المرء لا يدري بم يدخل الجنة بعد أداء الأركان واجتناب الكبائر. ألم تسمع حديث ذلك الرجل الذي دخل الجنة بسبب تساهله في تحصيل ديونه من المدينين..؟ وذاك الرجل الذي دخل الجنة بسبب «نظافة» قلبه.. وذاك الرجل الذي غفر اللّه له بسبب سقياه الكلب.. وذاك الرجل الذي كفل يتيماً أو أرملة فرضي اللّه عنه؛ فأسباب دخول الجنة لا تحصى؛ فلا تستصغر أي عمل خير تقوم به لوجه اللّه.. واحتسب الأجر وسوف تنسى هذا العمل الصغير، ولكن اللّه يحسب كل شيء، وستجزى عليه يوم القيامة.. أم أنك نسيت حديث البطاقة؟

ـ كلا.. أعرف الحديث، ولكن أحدنا لديه الكثير من التقصير، فماذا عسى أن ينفعه هذا العمل الصغير؟

ـ لا تدري فالوزن يومئذ الحق و«ثقل» العمل لا يعلمه إلا الله.. مثلاً: ذلك الإنسان الذي يتكفل بخدمة عجوز أرمل، ويقضي حاجاتها لوجه الله، وذلك الإنسان الذي يسعى على أيتام حتى عرف بأبي الإيتام؛ هذان عملان عظيمان، مع أنه في نظرنا إنسان «عادي» ليس بعالم ولا داعية ولا يتميز بشيء في المجتمع، ولكن عمله عظيم، وربما يكون سببا لدخوله الجنة.

كان صاحبي يصغي باهتمام..

ـ أظن أنني اقتنعت بفكرتك.. وأنت قل لي ما الذي ترجو أن تدخل به الجنة؟!

ـ إني أرجو أن أدخل الجنة بالتوحيد اعتقاداً وعملاً وتعليماً ونشراً ودعوة، أرجو أن يكون كل ذلك لوجه الله، وأن أكون قد أخرجت أحداً ما في مكان ما وزمان ما من الشرك إلى التوحيد، وأرجو أن أكون أزلت شبهات بعض الناس في قضايا الدعاء والنذر والحلف والتوسل والذبح والذكر، إني لأرجو ذلك ولا أدري إن كان الله سيتقبل هذا مني أم لا..

ـ هذا عمل عظيم.

ـ وكذلك تفريج هموم المسلمين وقضاء حاجات المعسرين.. والسعي على الأرامل والمساكين.. كلها أعمال عظيمة وكل ميسر لما خلق له؛ فنسأل الله القبول.

الجنة خلقت لنا..

على غير العادة جلست مع مجموعة رواد المسجد الذين اتخذوا مجلساً في ساحة المسجد الخلفية، ذلك أن أحدهم دعاني للاستفسار عن بعض القضايا..

كنت سادسهم..

ـ دعني أسأل.. هل الجنة موجودة الآن؟

ـ نعم.. موجودة مخلوقة.. تنتظر أهلها..

ـ ومن أهلها؟

ـ الآن.. أم فيما بعد؟

ـ الآن.. وفيما بعد..

ـ أما الآن ففيها ملائكة والحور العين وأرواح الشهداء وبعض المؤمنين وربما آخرون الله أعلم بهم.. وأما فيما بعد فأنتم أهلها إن شاء الله.. مع جميع المؤمنين من أتباع الأنبياء وخاصة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم... فهم (ثلثا) أهل الجنة... تدخل (بو محمد).. وهو شخص كثير المزاح..

ـ تعني أن الجنة خلقت لـ (أبوسعود) و(أبووليد).. و(بوعبد الله)؟!

ـ لم لا إن شاء الله سيكونون من أهل الجنة ولا نزكي على الله أحداً..

فنحن نعلم.. أنهم من أهل الصلاة.. لا تفوتهم فريضة في المسجد.. وهم من أهل الصيام.. وأعلم أنهم يخرجون زكاة أموالهم.. وكلهم أدى فريضة الحج.. وليس عندهم شيء من الشرك.. ولا النفاق إن شاء الله.. فَلِم لا يكونون من أهل الجنة بإذن الله..

ـ أراك تسهل الأمر.. هل تعني ما تقول أم تجامل؟

ـ ولِمَ أجامل؟.. إذا أدى المرء فرائض الله.. ولم يقع في الشرك أو النفاق الاعتقادي.. وانتهى عن المعاصي.. وإذا وقع منه ذنب تاب واستغفر.. فما المطلوب أكثر من ذلك ليكون من أهل الجنة بإذن الله..

ـ ولكن الأوصاف التي ذكرها الله في كتابه لأهل الجنة.. «صعبة»؟

ـ إني أخالفك الرأى.. اقرأ إن شئت في سورة المؤمنون: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ (المؤمنون).. هؤلاء مكانهم الفردوس.. أعلى الجنة ألا يستطيع أحدنا أن يتصف بهذه الصفات ويسأل الله أن يرزقه الفردوس؟!

كان (بو عبد الله) صامتاً.. وهو قليل الكلام.. سألني..

ـ وهل نستطيع أن نقول أن فلانا في الجنة؟

ـ بالطبع لا.. لا يملك ذلك أحد.. والرسول صلى الله عليه وسلم عندما أخبر عن أفراد بأعينهم أنهم في الجنة إنما ذلك بوحي الله.. وإلا فليس لأحد أن يحكم لأحد بالجنة أو النار.. ولكن نقول إن الله ذكر لأهل الجنة صفات وأخلاقاً وأفعالاً يستطيع كل منا أن ينالها.. وعلى الأقل أن يسعى ليكون ضمن من ذكرهم الله عز وجل.. فالجنة لم تخلق إلا لنا نحن عباد الله.. وخاصة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.. فما علينا إلا أن نعمل لأجل أن ندخلها وندعو الله أن نكون من أهلها.. فالجنة خلقت لنا..

العقيدة
في القضاء والقدر والرزق

ـ لا يمكن أن تستقيم حياة إنسان دون العقيدة الصحيحة في القضاء والقدر والرزق والابتلاء.. فضلاً عن أركان العقيدة المعروفة..

د. سعاد زميلة من كلية أخرى زارتني لحاجة.. ثم تناول الحديث قضايا في العقيدة.. ومنها الرزق..

ـ والرزق يجب ألا نقصره على المال فحسب.. ففي الحديث.. «**ما رُزِق عبد خيراً له ولا أوسع من الصبر**» (السلسلة الصحيحة).. وفي القرآن.. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (البقرة)؛ فالصبر والحكمة وحسن الطباع والحلم والأناة.. وغيرها.. من الرزق الذي يجب أن يؤخذ في الحسبان عند تعداد نعم الله عز وجل..

قاطعتني..

ـ ولكن دعنا نحصر النقاش في الرزق المادي.. نعم هذه الأمور مهمة..

ـ وفي الرزق المادي.. عقيدة أيضاً.

والحديث في البخاري.. عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**ثم يبعث إليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد**» (البخاري).

فالرزق مكتوب.. مرة قبل الخلق.. ومرة بعد نفخ الروح.. وأحدنا لا يعرفه ولكن يسعى ويجتهد في تحصيل أقصى ما يستطيع بالحلال.. كما في حديث أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له... فأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام**» ابن حبان والحاكم والبيهقي وصححه الألباني..

وفي الحديث الحسن... «**لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت**» (السلسلة الصحيحة)..

قطع حديثنا ـ مأمون ـ بكوب الشاي والماء...

سألت..

ـ دعنا نضع الموضوع في صورة نقاط حتى نصل إلى مختصر مفيد:

أولاً: الرزق مكتوب.. فلا يزيد ولا ينقص.

ثانياً: العبد يسعى في طلب الرزق ولكن يجمل في الطلب.. بمعنى يأخذ الحلال ويترك الحرام.. ولا يستبطئ الرزق.

ثالثاً: الرزق يطلب صاحبه ويدركه.

رابعاً: لا تموت نفس إلا وقد استكملت رزقها كله.

أعجبني أسلوبها في تلخيص الموضوع.

ـ نعم هو ذاك.

ـ ولكن ما معنى أن يبسط اللّه الرزق بصلة الرحم؟

ـ تقصدين من حديث النبي صلى اللـه علـيه وسـلم.. «**من أحب (سرّه) أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**» (البخاري ومسلم)؟

ـ نعم.

لا شك أن ما كتبه اللّه في اللوح المحفوظ لا يتغير.. ولكن ما يعلمه الملائكة من حال المؤمن يتغير.. كأن يعرف الملك أن رزق فلان وعمره ألف دينار وخمسون سنة إذا لم يصل رحمه ومئة ألف وسبعون سنة إذا وصل رحمه.. فيكون ما يفعله في النهاية مطابق لما في اللوح المحفوظ.. وفي علم الملائكة أن عمره أطول ورزقه أكثر بسبب صلة الرحم.. هذا معنى.. والمعنى الآخر أن اللّه يطرح البركة في عمره ورزقه بسبب صلة الرحم.. والمعنى الأول أولى..

ـ وماذا عن البركة؟

ـ البركة.. هي الزيادة ولذلك يسعى المؤمن إلى الرزق المبارك لا إلى الرزق الكثير فحسب.. ففي الحديث.. «**أفلح من أسلم ورزق كفافاً.. وقنعه الله بما آتاه**» مسلم.

ولا شك أن أعظم أسباب طلب الرزق ـ مع السعي الصحيح ذكر اللّه والدعاء.. ففي الحديث: «**وسبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة كل شيء.. وبها يرزق الخلق**» (أحمد والطبراني وصححه الألباني).

آل البيت والصحابة

جاري الأيمن (بو ناصر).. دمث الأخلاق.. خفيف الظل.. سهل التعامل.. مبتسم الوجه.. كلما لقيني.. صافحني بحرارة.. وهمس في أذني (ليس فيك عيب إلا أنك تقدم أبا بكر وعمر على علي..) فأجيبه.. بما تيسر في حينه.. دعاني لأشاركه المجلس بعد رجوعي من صلاة العصر.. وكنا في أول العشر الأواخر من ذي الحجة..

ـ مبروك على زواج (براء).. وأسأل الله أن يسعدها وزوجها..

ـ جزاك الله خيراً يا أبا ناصر.. لقد حرصت أن ننتهي من هذه المناسبة السعيدة قبل عشر المحرم..

ابتسم.. وكأنني لا أعني ما أقول..

ـ بحق.. فإنه لا ينبغي إظهار الفرح في يوم مقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. بل هي مصيبة نسترجع عندها (إنا لله وإنا إليه راجعون) كلما تجددت..

قاطعني..

ـ هذا الذي يعجبني فيك.. أنك تعظم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ـ بل كل مسلم يعظم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ويعرف حقهم.. والصحابة أول من عرفوا ذلك.. ابتداء من أبي بكر.. وعمر.. وعثمان.. وطلحة.. والزبير.. وأبي هريرة.. وابن عمر..

لم يهتم كثيراً لما أقول..

- نعم.. لقد عرف الصحابة مكانة آل البيت وكذلك أحب آل البيت الصحابة - رضوان الله على الجميع - فهذا أبو بكر يقول: ارقبوا رسول الله في آل بيته.. وعمر يتزوج ابنة علي وفاطمة الزهراء.. أم كلثوم.. وأنجبت له زيد بن عمر.. وعثمان بن عفان عندما حوصر في منزله كان ممن وقف على بابه يدافع عنه الحسن والحسين ابنا علي بن أبي طالب.. وأم الحسن بنت الحسين بن علي تزوجها عبد الله بن الزبير بن العوام.. وأبو هريرة كان كلما رأى الحسن بن علي قال السلام عليك يا سيدي.. ورقية بنت الحسن بن علي تزوجها عمرو بن الزبير بن العوام وعلي بن أبي طالب (أبو الحسن).. سمى من أبنائه (أبو بكر) (عمر).. و(عثمان) والحسن بن علي سمى أبنائه (أبوبكر وطلحة وعمر) والحسين سمى من أبنائه (أبو بكر، وعمر).. وزين العابدين سمى من أبنائه (عمر).. وهكذا.. تداخل الصحابة وآل البيت بالمصاهرات والأسماء.. حباً لبعضهم البعض.. ولو رجع المسلمون إلى الصحيح من الأخبار لما وجدوا سبباً للفرقة.. بل لاجتمعوا على حب آل البيت والصحابة جميعاً..

قاطعني..

- فكيف ترضى بقتل الحسين (أبي عبدالله)؟!

- أعوذ بالله.. وهل يرضى مسلم بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.. اسمع يا أبا ناصر.. مر الرسول صلى الله عليه وسلم ذات

يوم ببيت ابنته فاطمة.. فسمع بكاء الحسين.. فناداها.. «**يا فاطمة أما تعلمين أن هذا يؤذيني**».. أي أن بكاء الحسين يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فكيف بحصاره.. وجرحه.. ورميه.. وقتله.. وحز رأسه.. بأبي هو وأمي (حسين)؟! إن عقيدتنا أننا نلعن من قتل الحسين أو أعان على قتله أو رضي بقتله.. ونعمل بوصيته قبل أن يستشهد عندما دخل على أخته زينب.. فقال (يا أختاه.. أوصيك ألاَّ تشقي علي جيباً ولا تلطمي علي وجهاً).. إن مكانة آل البيت عندنا هي المكانة التي رضيها الله لهم.. نحبهم.. ونعظمهم.. ولكن لا ندعوهم ولا نزعم أن زيارتهم أعظم من الحج.. ولا نسجد لهم ولا على تربتهم.. ولا ننذر لهم.. ونؤمن يقيناً أنهم جميعاً.. قالوا: «**هلك فينا اثنان.. محب غال.. ومبغض قال**».. فلا نقول إن نظرهم يحيط بكل شيء إلى سدرة المنتهى وعلمهم يتعدى ذلك.. ولا نقول فيهم إلا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علي: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» (مسلم).. ونقول إنهم أولياء الله.. فنتولاهم.. كما نتولى الصحابة.. ولكلٍّ مكانته ولكلٍّ حبه ولكلٍّ منزلته في قلوبنا.. نرجو بكل ذلك رضى الله عز وجل.

علي (عليه السلام) ومحمد (صلى الله عليه وسلم) سواء؟

استمراراً لحواري مع صاحبي.. وزميلي منذ أكثر من عشرين سنة.. سألته..

ـ ماذا عن منزلة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالنسبة للصحابة ابتداء من أبي بكر رضي الله عنه؟

ـ أمير المؤمنين لا يقارن بالصحابة.. فهو بمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم.

استغربت رده.. ولم يخف عليه استغرابي.. فأعاد جملته..

ـ نعم.. أمير المؤمنين بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم.. عدا الرسالة.. دعني أشرح لك الأمر..

ـ كلي آذان مصغية..

ـ في آية المباهلة.. وهي الآية ٦١ من سورة آل عمران.. ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾.. فكان الأبناء.. الحسن والحسين، والنساء فاطمة الزهراء.. والنفس أمير المؤمنين.. فهو نفس الرسول الأعظم.

ـ أريد جواباً صريحاً لسؤال صريح.. هل علي بن أبي طالب بمنزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

- نعم.

- هذه هي العقيدة التي تؤمن بها وتحب أن تلقى الله عليها؟!

- لا أدري ما تعني.. ولكن دعني أوضح لك.. حتى لا تنسب إلي ما لم أقل.. فأنا أنقل لك عن علمائنا.. عند القمي.. عن الصادق عليه السلام أنه لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وأوصى الله إليه في علي عليه السلام ما أوصى من شرفه ومن عظمته عند الله ورد إلى البيت المعمور وجمع له النبيين وصلوا خلفه.

- قاطعته..

- خلف علي أم خلف النبي صلى الله عليه وسلم؟

- لا أدري.. دعني أكمل قراءاتي.. بعد أن صلوا خلفه عرض في نفس النبي صلى الله عليه وسلم من عظم ما أوحى إليه في علي عليه السلام فأنزل الله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ (يونس) يعني الأنبياء، فقد أنزلنا إليهم في كتبهم من فضله ما أنزلنا إليك في كتابك..

قاطعته مرة أخرى..

وأنت تؤمن وتعتقد ذلك؟

- أنا أقلد مرجعاً، وأؤمن بما يقول، ودعني أزيدك من مصدر آخر،

«فإنه حسب تحقيق العلماء، فإن أفضل الخلق هو نبينا صلى اللّه عليه وسلم، ثم أمير المؤمنين والزهراء في منزلة واحدة، ثم الحسن والحسين، ثم الإمام المهدي، ثم الأئمة من ذرية الحسين من السجاد إلى العسكري في منزلة واحدة، ثم إبراهيم الخليل»..

ـ ولكنك قلت إن علياً عليه السلام بمنزلة النبي صلى اللّه عليه وسلم؟

ـ نعم هذا رأي وهذا رأى، ولكن الإجماع على أن جميع الأئمة خير من الرسل جميعاً، فبعد الأئمة يأتي أول الرسل إبراهيم الخليل، لا أحد يخالف هذه العقيدة..

ـ ولكن ألا تعتقد أن في هذا شيء من الغلو في الأئمة، وهذه عقيدة ينبغي أن يحذر المرء أن يؤمن بشيء منها إلا يقيناً بدليل صريح من القرآن أو السنة الصحيحة..

ـ بالطبع، وهل نعتقد إلا بأدلة صحيحة من القرآن والأحاديث الصحيحة؟

ـ زدني..

ـ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو في محفل أصحابه: «إن تنظروا إلى آدم في علمه ونوح في فهمه وإبراهيم في خلته وموسى في مناجاته وعيسى في سننه ومحمد في هديه وحلمه فانظروا إلى هذا المقبل» فتطاول الناس فإذا هو علي ابن أي طالب..

- ولكن ظننت أنك لا تعترف بأحاديث أبي هريرة؟!

- نعم لا آخذ بها، ولكن لأثبت لك أن حتى الأحاديث التي لا نأخذ بها تثبت كلامنا..

- وإذا قلت لك إن هذا الحديث لا يصح.. قبل أن أبحث بواسطة الحاسوب في جميع كتب متون الحديث؟

- لا يهم.. لدينا أدلة كثيرة أخرى.. نلغي هذا الحديث..

- هكذا بكل بساطة تستدل به ثم تلغيه، وهو في باب العقيدة..

بحثت الحديث في جميع الكتب، فوجدت في (جامع الحديث).. و(الجامع الكبير).. ومستخرج الطوسي.. أنه (حديث موضوع).. قال ابن الجوزي موضوع.. وكذا قال الألباني.. في السلسلة الضعيفة.

أبو طالب.. وأبو إبراهيم صلى الله عليه وسلم

إلتقيت جاري «بو ناصر» وهو يهم بمغادرة حيّنا بمركبته «الجيب» وكنت قد انتهيت من صلاة التراويح.. وكعادتنا تصافحنا وتبادلنا «القبل»، مخالفين تعليمات وزارة الصحة بالمنع؛ احترازاً من «إنفلونزا الخنازير».

بدأ حديثه:

ـ أنتم تقولون: إن والد علي ـ عليه السلام ـ مات كافراً.. وماذا عن الصحابة ألم يكونوا مشرّكين كفارا؟!

ـ نعم.. معظم الصحابة كانوا على الكفر، ثم أسلموا، بعضهم أسلم مع بداية دعوة النبي صلى اللّه عليه وسلم، وبعضهم تأخر إسلامه حتى بعد عام الفتح، حتى أبو سفيان رغم ما كان منه أسلم في نهاية الأمر، وماذا في ذلك؟ أعني ما الذي تريد أن تقوله؟!

ـ كيف يكون والد علي ـ عليه السلام ـ كافراً؟

ـ هل تعرف نبي اللّه إبراهيم عليه السلام؟

استنكر سؤالي.. لم يجب.. تابعت حديثي:

ـ أعني أن رسول اللّه إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ من أفضل الرسل ومن أولي العزم، ولا شك أنك تؤمن أنه أعلى منزلة من الإمام علي ـ عليه السلام ـ أليس كذلك؟

بعد تردد أجاب:

ـ بلى.. هو أعلى منزلة من الإمام ـ عليه السلام!

ـ كان أبوه كافراً.. بنص القرآن.. أليس كذلك؟!

سكت صاحبي.. تابعت:

ـ ولا يضر إبراهيم صلى اللّه عليه وسلم كفر أبيه.. بل أخبر اللّه عز وجل أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ تبرأ من أبيه، بعد أن كان قد دعاه إلى الإيمان ونصحه واجتهد في دعوته إياه، ولكنه لم يسلم: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ (التوبة).

تابعت بياني:

ـ بل أول رسول يبعث إلى أهل الأرض، نوح ـ عليه السلام ـ ألم يمكث «ألف سنة إلا خمسين عاماً» يدعو قومه، وأولهم أهله؟! ومع ذلك رفض ابنه الركوب معه في الفلك، رغم مناداة والده ودعوته.. ومَنْ والده؟ نوح ـ عليه السلام ـ وهو من أولي العزم من الرسل، ولا شك أنه أفضل من الإمام علي ـ عليه السلام ـ حتى مع بداية الطوفان، قال له والده النبي الرسول الذي يوحى إليه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (هود)، ولكنه لم يركب وكان ممن أهلكهم اللّه مع الكافرين، فلا يضر نوحاً كفر ابنه، ولا ينقص إبراهيم كفر أبيه، ومن باب أولى ألا يضر مكانة الإمام كفر أبيه؛ فلماذا الاعتراض إذا ثبتت الرواية؟!

- لم يجد جاري جواباً.. تابعت حديثي:

- هذه الصلاة التي تنكر علي أداءها «صلاة التراويح» أليست بصلاة في الليل، أقرأ فيها القرآن وأدعو، ولا أقرأ من كتب التاريخ، ولا القصص، ولا الروايات الصادقة والكاذبة، أليست صلاة في وقت مبارك، لماذا تنكرها؟

- لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤدها جماعة في المسجد.

- وإذا ثبت عندي أنه أداها هل تقبلها؟!

رفع زجاج المركبة وانطلق مودعاً بقبلة في الهواء كعادته.

عقائد... فاسدة

لا شك أن عقيدة كل ملة خط أحمر لا تسمح لأحد أن يتعدى عليه حتى أتباع بوذا.. وعبدة النار.. وكذلك عبدة الشيطان.. الجميع يدافع عن عقيدته.. وربما يموت دونها..

سألت صاحبي..

ـ ما هي العقيدة التي قال بعضهم إنها خط أحمر لن يسمح لأحد بأن يقترب منه؟!

ـ العقيدة كلمة عظيمة فيها أمور كثيرة.. سلني عن أمور أجيبك..

ـ حدثني عن الغيبة، (بفتح الغين وسكون الياء).

ـ كانت للإمام محمد المهدي ابن الإمام الحسن العسكري غيبتان.. الأولى: الغيبة الصغرى ـ من (٢٦٠هـ ـ ٣٢٩هـ) وكان له سفراء أربعة وبعد موت السفير الرابع في ١٥ شعبان ٣٢٩هـ بدأت الغيبة الكبرى وحتى يومنا هذا..

ـ وماذا تعني الغيبة؟!

ـ تعني أن الله غيّب الإمام محمد بن الحسن العسكري في مكان ما.. وكان له سفراء يبلغون عنه.. ثم بعد موت السفير الرابع.. (علي بن محمد المسري) انقطع السفراء وبدأت الغيبة الكبرى إلى أن يأذن الله بخروج المهدي من غيبته...

ـ ولماذا انقطع السفراء بين المهدي والأمة؟

ـ هكذا أراد الله.. ففي الحديث عن الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت في مدينة السلام (بغداد) ـ (وجميع السفراء عاشوا وماتوا في بغداد.. حضرت محمد المسري قبل وفاته بأيام.. فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته..

(يا علي بن محمد المسري عظّم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك).

ـ وهل تعتقد أنت أن الإمام المهدي موجود الآن في مكان ما في بغداد منذ ٢٦٠هـ ونحن الآن في عام ١٤٣١هـ؟

ـ طبعاً.. هذه عقيدة راسخة لا يشك بها إنسان مسلم!!!

ـ نعم.. وحدثني عن الرجعة؟!

ـ يقول الشيخ الصدوق.. عقيدتنا أن الرجعة حق.. وهي الرجوع إلى الحياة بعد الموت وقبل الحشر.. وهي تقع لبعض المؤمنين وبعض الكفار، والأحاديث في رجعة أمير المؤمنين علي والحسين عليهما السلام متواترة المعنى.. وفي بقية الأئمة قريبة من التواتر..

ـ وما الهدف من (الرجعة)؟

ـ إقامة العدل في الأرض قبل يوم الحشر، وتكون الرجعة للبعض

وليس للكل.. وقد حصل أن أحيا اللّه أمواتاً كما أخبر اللّه عز وجل عن عيسى ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ (آل عمران: ٤٩).

ـ تعني أن علي بن أبي طالب والحسين (عليهما السلام) يرجعان بعد أن ماتا، ثم يموتان مرة أخرى؟

ـ بل يرجعان أكثر من مرة إلى الحياة ثم يموتان ويرجعان ويموتان مرات عدة لا نعلم عددها..

ـ وهل يرجع النبي صلى اللّه عليه وسلم إلى الحياة ثم يموت؟

ـ لا أدري.. ولكن إذا كانت تحصل لأمير المؤمنين فمن باب أولى الرسول صلى اللّه عليه وسلم ولكن.. لا أعلم..

وأخبرني عن العصمة؟

ـ بل أنقل لك قول الشيخ المفيد (إن الإمامة توجب لصاحبها عند الاثنى عشرية: العصمة والنص والمعجزة) (العيون: ٢/١٢٧)، فالعصمة هي امتناع وقوع الذنوب ـ صغيرها وكبيرها ـ لا عمداً ولا نسياناً ولا خطأ في التأويل ولا سهواً (بحار الأنوار ٢٥/٢١١).

ـ ولكن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فعل خلاف الأولى فعاتبه اللّه عز وجل.. كما في (الأعمى).. و(الأسرى).. و(التحريم).. و(الإذن عن القتال)..

ـ هذا أثناء التشريع.. ولكن بعد اكتمال الشريعة فلا تقع مثل هذه

الأمور من الأئمة..فهم الذين ينقلون أوامر اللّه إلى الناس ولا يخلو زمان من إمام معصوم..

ـ وهل يأتيهم الأمر مباشرة من اللّه أم ينقل الأئمة ما أتى به الرسول صلى اللّه عليه وسلم؟

ـ ثابت في عقيدتنا أن اللّه ناجى أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم براءة، ويوم الطائف، ويوم تبوك، ويوم حنين.. (بحار العلوم ٣٩/١٥٤).

فالوحي يأتيهم مباشرة من اللّه ولكن ليس كالوحي الذي يأتي النبي صلى اللّه عليه وسلم...

حمدت اللّه على أن عقيدتنا لا تشمل هذه الأمور التي ترفع الأئمة إلى مقام النبوة بل والألوهية أحياناً.

عشر رمضان.. وعشر المحرم

أكثر من مرة ألتقي جاري (بو ناصر) - ونعم الجار - يدخل بيته متأخراً في العشر الأواخر من رمضان.. وأنا خارج لصلاة قيام الليل، فيدور بيننا حوار:

- إلى أين يا جاري العزيز؟

- ما ظنك؟ إلى المسجد لصلاة القيام.

- ومن الذي شرع هذه الصلاة؟

- رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من الله، ولقد كان الحسين - عليه السلام - يحب أن يصلي أكثر الليل، وقضى ليلة عاشوراء مصلياً، وجميع الأئمة والمذاهب تدعو لصلاة الليل والاستغفار بالأسحار، ألم تذكر لي ذات مرة (أن مما يطيل العمر الاستغفار بالأسحار) من بين أمور أخرى؟!

- نعم.. نعم.

ألقيت نظرة على ساعتي.. سألني:

- هل تأخرت؟

- كلا.. مازال أمامي نصف ساعة، وأنت.. ماذا تفعل في العشر الأوائل من المحرم؟

- أذهب إلى الحسينية؛ حيث أستمع كل ليلة إلى قصائد في مدح آل بيت الرسول - عليهم السلام - وتذكير بسيرتهم، ثم يلقي السيد محاضرة يذكرنا فيها بما حصل لآل البيت بطريقة تجعلنا نحيي مكانتهم في قلوبنا، فتُذرف الدموع وتُضرب الصدور حزنا عليهم وحباً لهم.

ـ نحن نقف طول الليل في صلاة نستمع لآيات اللّه تتلى علينا، وربما بكينا تفاعلاً مع الآيات خوفاً من العذاب ورجاء في الرحمة.

ـ ذاك شيء.. وهذا شيء.

ـ وماذا تفعل بعد المحاضرة؟

ـ في النهاية يدعو السيدُ اللّهَ بواسطة صاحب الزمان لقضاء الحاجات وتنفيس الكربات وشفاء المرضى وقضاء الدَّين وإصلاح أحوال الأمة، ثم يرجع (الرادود) فيقرأ قصيدة أخرى في مكانة آل البيت عموماً، وربما بعضهم على الخصوص وفق ما حصل في حادثة الطف الكبرى، فيذكرنا بـ (زينب) ـ عليها السلام ـ ومواقفها، والقاسم بن الحسن و(سكينة) ـ عليهم السلام جميعاً.

ـ ونحن يرفع الإمام يديه في صلاة الوتر فيدعو بما ثبت عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ويدعو اللّه عز وجل أن يفرّج الهم، ويقضي الدين، ويشفي المرضى، ويصلح أحوال الأمة، وأن يرزقنا الجنة ويعيذنا من النار، وهكذا من منتصف الليل إلى آخره رجاء أن يكون في الثلث الأخير من الليل.

ـ أنا أذهب من بداية الليل وأرجع الساعة الثانية عشرة، عدا ليلة عاشوراء أمكث إلى قرابة أذان الفجر.

قلت لصاحبي: أظن أنني يجب أن أذهب لأداء الصلاة والاستماع إلى القرآن والخشوع مع كتاب اللّه، فهذا وقت مبارك، وتصبح على خير.

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

إحدى الفضائيات كانت تنقل (مباشرة) محاضرة من أحد الأماكن في الكويت.. في اليوم التالي إلتقيت زميلي في العمل... (فاضل).. ذكرت له محتوى تلك المحاضرة وكيف حاول السيد المعمم أن ينتقص من حق عائشة - رضي الله عنها - لموقفها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

بعد تردد.. ذكر لي صاحبي أنه شاهد تلك المحاضرة.. وعلاقتي بفاضل تمتد لأكثر من عشرين سنة.. منذ كنا نعد رسالَتَي الدكتوراة.. وكنا خير صاحبين.

- دعك مما سمعت من أحاديث لا تثبت.. أو أقاويل يمكن تأويلها.. تعال نقرأ كتاب الله الذي لا ريب فيه.. أخذت المصحف الذي يضعه دائماً على الجانب الأيمن من مكتبه.. أظهرت الصفحة (٤١٨) الآية السادسة من سورة الأحزاب.. قلت له اقرأ.

- ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾.

- هذه آية صريحة واضحة.. هل كانت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.. وبقيت في ذمته حتى توفي؟!

- نعم.

- هل طلقها.

- كلا.

- إذاً توفي صلى اللّه عليه وسلم وعائشة زوجته.. بل توفي في بيتها.. بين سَحْرها ونحرها.. ألم يطلب من باقي نسائه أن يبقى لديها آخر أيامه.. ألم تكن أحب نسائه إليه صلى اللّه عليه وسلم؟!

- بلى.

- تعال.. نفكر بعقل ومنطق متجرد.. كيف ترضى لرسولك صلى اللّه عليه وسلم ما لا ترضاه لنفسك؟! قاطعني.. قلت له: دعني أكمل ثم قل ما شئت.

- ماذا سيكون موقفك مني.. لو قلت لك: إنك رجل طيب خلوق وأنا من أتباعك وأوليائك وأناصرك.. ولكن لي رأي في زوجتك.. إنها تكذب عليك.. وتنقل عنك ما لا تقول.. بل وتخرج دون إذنك.. هل سترضى لنفسك هذا الأمر؟!

- بالطبع لا.

- وإذا كنت على يقين من زوجتك هل سترضى بي صديقاً؟!

- لا.. بل ربما أقاتلك.. وأقل ما أفعل أن أهجرك.

قاطعني:

- ولكن هل هي خير أم خديجة؟ هل هي خير أم فاطمة الزهراء رضي اللّه عنهما؟

ابتسمت.. مخففاً الجو:

- نحن لم نذكر فاطمة الزهراء ولا أمها خديجة رضي الله عنهما.. ولا يختلف اثنان حول مكانة خديجة وفاطمة.. هل سمعت أحداً يذكر إحداهما إلا مادحاً محباً موالياً مقراً بمكانتهما عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

- لا.

- ولكنني سمعت.. وأنت سمعت من يلمز ويغمز عائشة - رضي الله عنها - ثم دعني أسألك:

- هل العلاقة الدينية أقوى أم علاقة الرحم؟

- لم أفهم.. ماذا تقصد؟!

- أقصد أنه إذا كان قريبك كافراً وآخر ليس بقريبك لكنه مؤمن.. أيهما الأولى بولايتك؟!

- لا شك المؤمن.. وإن كان غريباً.. بصريح كتاب الله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (المجادلة).

ـ إذاً .. فمكانة عائشة رضي اللّه عنها ـ بالنسبة للمؤمنين ينبغي أن تقدم على مكانة الأمهات الوالدات؛ لأن مكانتها بوصفها أمّاً للمؤمنين جاءت من الشريعة بأمر اللّه .. فإذا حرم اللّه علينا أن نقول لأمهاتنا (أُفّ) .. فالتحريم أولى لعائشة ـ رضي اللّه عنها ... إذا كان البر واجباً لأمهاتنا .. فهو لعائشة أولى .. أليس كذلك؟!

ـ فعلاً .. حق ما تقول.

ـ ويكفي عائشة ـ رضي اللّه عنها ـ شرفاً أن تنزل بشأنها (١٣) آية من سورة النور تبرئها .. وتشهد لها، ويكفيها شرفاً أنها زوجة نبينا صلى اللّه عليه وسلم في الدنيا والآخرة .. ومع ذلك فهي بشر وأخطأت بقتال علي رضي اللّه عنها .. ولكنه خطأ مغفور ولا يضر مكانتها ولا سيما أنها قد تابت وندمت .. فإنها (أُمُّنا) إن كنا مؤمنين.

السجود نعمة

منذ أكثر من عام وصاحبي مضطر للصلاة على كرسي بسبب «الديسك».. خرجنا ليلة الأربعاء الماضي بعد صلاة العشاء لقضاء بعض الوقت معاً.. قررنا الذهاب إلى أكثر الأماكن شعبية في قلب العاصمة.

ـ هل تعلم أعظم شيء فقدته بعد إصابتي بالديسك؟! خطرت على بالي أمور كثيرة.. تركته يجيب..

ـ السجود..

ـ صدمني بإجابته.. لأن السجود لم يخطر على بالي إطلاقاً..

ماذا تعني؟

ـ أعني أنكم في كل ركعة من كل صلاة تضعون جباهكم على الأرض بين يدي الرحمن عز وجل.. قمة الذل.. وقمة العبادة.. وقمة الخضوع للجبار.. وقمة القرب من الرحمن.. وأنا لا أستطيع أداء هذه الحركة.. هذا الوضع الذي كنت أمارسه دون أن أشعر به.. عرفت قيمته الآن.. السجود.. هيئة المؤمنين بين يدي ربهم.. السجود.. حال قلوب المؤمنين أمام أوامر إلههم.. السجود.. لغة عقول المتقين أمام كلام خالقهم.. هذه الهيئة فيها من العظمة والهيبة والخشوع.. ما يرفع الإنسان من حيوانيته إلى منزلة الملائكة.

كان صاحبي يتحدث بحرقة وتأثر بالغين.. استدركت عليه..

ـ ولكن من منا نحن الذين نسجد أكثر من خمسين مرة في اليوم.. يفكر بهذه الطريقة.. أو حتى تخطر على باله هذه الأمور..

ـ وهنا المصيبة.. أن المرء لا يشعر بالنعمة إلا بعد زوالها لماذا؟ أليس هذا من الغفلة؟!.. أنت تستطيع أن تسجد سجوداً كاملاً لله عز وجل.. هذه نعمة عظيمة.. ألا يتدبر هؤلاء قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ (الحج).

فالذي يسجد لله طوعاً.. يدخل مع كل من أكرم الله من الملائكة والمخلوقات.. والذي يأبى أن يسجد لله.. فقد حقت عليه المهانة.. ومن يهن الله فما له من مكرم ومع ذلك يسجد لله رغماً عنه.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾ (الرعد).

سألته:

ـ ألا يمكنك السجود على الإطلاق؟!

تنهد هز رأسه حسرة.

ـ كلا..

بصراحة.. أشفقت عليه.. أردت أن ألطف الجو قليلاً..

ـ ولكن تعلم أن لك الأجر كاملاً.. وأن اللّه لا يكلف نفساً إلا وسعها وغير مطلوب منك أن تؤذي نفسك.. وبعض الناس يخطأ في فهم حديث استحباب الدعاء في السجود.. وحديث «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**» (مسلم) يظنون أن المطلوب من المرأ أن يسجد فحسب. فترى بعضهم إذا أراد أن يدعو اللّه يسجد.. ويدعو.. وهذا.. كما نعلم خطأ في فهم الحديث لأن المراد أَكْثِر من الصلاة فيكثر سجودك.. وادع اللّه وأنت في هيئة السجود في الصلاة.. لا أن تسجد مجرداً لأجل أن تدعو.

ـ هذا صحيح.. ولقد رأيت أحدهم يفعل ذلك.. وقال إنه اعتاد السجود للدعاء منذ سنوات في قريته.. وسأل إمام مسجدهم فأقره على ذلك.. فأفهمته المعنى.. وتقبل بفضل اللّه.

ـ نعم إن السجود نعمة عظمة.. رغم أنه أذل هيئة للعبد.. وما أعظم الذل بين يدي اللّه عز وجل.. وهذه إحدى هيئات تحقيق العبودية بالبدن لذلك ينهى عن السجود لأي أحد مهما كان ولو كان لأحد أن يسجد لأحد لكان أولى الناس الزوج أن تسجد له زوجته.. لعظم حقه عليها.

قالوا.. لم نك من المصلين!

إلتقينا بعد غياب ثلاثة أشهر كان لدينا الكثير للتحدث عنه.. قررنا تمضية الأمسية والعشاء معاً في أحد المطاعم الهادئة..

ـ الغريب في المسلمين.. ولا سيما الذين يعيشون في الغرب.. أنهم يتمسكون بمسمى الإسلام.. مجرد إجابة على سؤال (ما دينك؟) يقول (مسلم).. قابلت أحدهم في نيويورك يعمل في معرض مبيعات منزلية.. صافحني.. سألني عن ديني.. فلما أجبته قال والابتسامة تملأ وجهه.. وقد نفخ صدره (وأنا كذلك مسلم).. وأخرج من تحت قميصه قلادة ذهب نقش عليها لفظ الجلالة.. سألته عن إسلامه.. لا صلاة.. لا صيام.. يعرف رمضان.. ولكن كما وصف نفسه.. (مسلم.. غير ممارس للشعائر)..

ـ هؤلاء ولدوا في تلك البيئة.. وترعرعوا فيها.. وأصبح مفهوم الدين لديهم كما هو عند النصارى.. مجرد اسم.. لا معنى له.. ولكن ماذا تقول عن الذين يعيشون بيننا ويحملون هذا الفكر.. ويمارسون الإسلام بهذه الطريقة..

ـ لا أظن أن هناك مسلماً.. يعيش في بلاد الإسلام.. ويسمع الأذان.. ويرى المساجد.. ويسمع القرآن.. ثم لا يؤدي الصلاة..

أنكر علي صاحبي هذا الاستنتاج..

ـ بل.. هناك الكثير.. ممن يسمع الأذان.. الإقامة.. بل وقراءة الإمام

في المسجد.. وهو جالس في بيته أو مجلسه.. ولا يخرج للصلاة.. ولا يؤديها حتى في بيته.. وهؤلاء كثير.. وكلما قرأت أو سمعت قول الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ (المدثر) تذكرت هؤلاء..

بدأت المقبلات تُصف على الطاولة.. بدأت بقطع الخبز المحمص الرقيق.. بعد البسملة..

ـ هذه الآيات من سورة المدثر.. من قوله: ﴿إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ (المدثر).

هذه الآيات عجيبة.. جمعت بين العبادات والأخلاق والعقيدة.. بين الصلاة والإحسان إلى الخلق.. والإيمان باليوم الآخر.. وهي أمور متلازمة.. فمن آمن باليوم الآخر.. عبد الله.. ومن عَبَدَ الله.. حافظ على أجر عبادته بحسن الخلق.. والعكس كذلك..

ـ إن أعظم ذنب بعد الشرك يمكن أن يقع فيه الإنسان هو عدم الصلاة.. كيف يمكن لأحد يزعم أنه مسلم.. ألا يصلي.. هذه العبادة العظيمة والشعيرة المميزة لأهل الإسلام.. من تركها فَقَدَ هويته.. كما قال صلى الله عليه وسلم: «**من تركها فقد كفر**» (أحمد والترمذي صححه الألباني).

قاطعني..

ـ أنت لا تتصور ذلك لأنك تخالط أهل المسجد والصلاة.. أما أنا فأخالط جميع الأصناف.. وكافة الطبقات.. وفي رأيي فإن غالب المسلمين.. لا يصلون لا أقول إنهم لا يصلون أي صلاة.. بل معظمهم لا يصلون في المساجد.. وغالبهم.. تفوتهم كل يوم صلاة أو أكثر.. وغالبهم.. يجمع كل يوم تقريباً بين صلاتين على الأقل.. وكثير منهم لا يصلي الجمعة.. مرة أو مرتين كل شهر..

استفسرت مستغرباً..

ـ هل هذه الأرقام والنسب عن دراسة.. وإحصاء علمي.. أم مجرد رأي؟!

ـ بل هو رأيي مما أراه في المجالس والدواوين والتجمعات التي أختلط فيها كل يوم.. في السوق نهاراً.. وفي الاجتماعات مساء.. وفي اللقاءات الأسبوعية..

ـ على أية حال.. لا أظن أن أرقامك دقيقة.. أو حتى صحيحة.. فلا أظن أن هناك مسلماً يرضى لنفسه أن يقول يوم القيامة: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ (المدثر).. لأن هذه مقولة الكفار.. الذين يخلدون في نار جهنم ـ والعياذ بالله.

الحاج.. عبدالرشيد

إلتقيته بعد موسم الحج دون سابق موعد.. مع إحدى اللجان يجمع التبرعات لبناء مسجد في إحدى المدن الصغيرة من ضواحي أتلانتا.. في الولايات المتحدة الأمريكية.. أشرقت أساريره عندما علم أنني قضيت فترة في تلك المدينة.. دعوته للعشاء في منزلي.

- كيف وجدت الحج؟

- الحمد للّه.. ازدحام بعض الشيء.. ولكن الحمد للّه أدينا جميع المناسك بيسر..

- وكيف تقول عن أولئك الذين يزعمون أن أعمال الحج فيها تعظيم للأحجار والأماكن..

- هؤلاء إما غير مسلمين.. أو مسلمون.. أما إن كانوا من الفئة الأولى فلن أكلف نفسي عناء الرد عليهم.. لأنهم ينطلقون من مبدأ البغض والحقد وأيضاً احتقار شعائر الإسلام.. وإذا كانوا من الفئة الثانية فأغلب الظن أنهم مسلمون بالإسم فحسب.. يريدون تبرير عدم إلتزامهم بتعاليم الشريعة.. وذلك أن كل شريعة سماوية كانت أم شيطانية لها «طقوس» تعظمها.. سواء في أماكن معينة.. أو أزمنة محددة.. والحج عبادة يجب أداؤها في وقت معين.. ومكان معين.. تقضي الفترة من بعد الظهر إلى المغرب في عرفات، ثم تبيت الليل في مزدلفة.. ثم ترمي جمرة العقبة صباح اليوم التالي.. وتطوف بالكعبة.. وتحلق.. ثم تبيت بمنى ليلتين أو

ثلاث.. تعال بعد يوم التاسع لا تجد أحدا في عرفات.. تعال ظهر اليوم العاشر.. لا تجد أحداً في مزدلفة..

قاطعته.. رغم إعجابي بحماسته وتمكنه من إجاباته..

- القصد عندهم.. أن المسلمين يعظمون الكعبة.. والحجر الأسود.. ومقام إبراهيم.. فهم يطوفون بالبيت.. ويقبلون الحجر.. ويصلون عند المقام.. ويزدحمون لأجل ذلك.

- عندما يريد أي أحد أن ينتقد فكراً.. أو يقيم مبدءاً.. لابد أن يرجع إلى المصادر الأصلية.. ومصادرنا الأصلية في الإسلام.. القرآن والسنة.. وما كان عليه السلف الصالح.. فالقرآن يبين أن الذي بنى الكعبة هو إبراهيم - عليه السلام - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية بعثته وحتى منتصف زمن البعثة يصلي تجاه المسجد الأقصى.. ثم تحول بأمر الله إلى الكعبة.. وأصبح من العبادات الطواف بهذا البيت.. وأصبح من العبادات تقبيل الحجر.. لا لأجل الحجر.. كما قال عمر - رضي الله عنه ... فإن الضر والنفع ليس بالجمادات.. ولكن باتباع أوامر الله ورسوله.. بل المسلمون أكثر الناس بعداً عن تعظيم الأماكن والأشخاص... ففي الحديث «**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم.. إنما قولوا عبدالله ورسوله**» (البخاري).. وكذلك «**لا تتخذوا قبري عيداً فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم**» (حسنه الألباني).

بصراحة.. ازددت إعجاباً بالرجل.. فإنه يتحدث بتمكن.. وعلم.

- وماذا عن ألوف المسلمين الذين يعظمون القبور.. ويشدون الرحال لزيارتها وينذرون عندها.. ويقيمون في رحابها؟!

- لقد أخبرنا رسولنا صلى اللّه عليه وسلم عن حال هذه الأمة في آخر الزمان.. وأنها ستكبر كَـمَّـاً.. وتنقص نوعاً.. (**غثاء كغثاء السيل**) (السلسلة الصحيحة) فالجهل وللأسف ينتشر في الأمة.. ومعظم هؤلاء أخذوا دينهم عن آبائهم وأجدادهم دون وعي.. ودون علم.. وإلا فكيف يسوغ لمسلم أن يعتقد أن زيارة قبر أعظم عند اللّه من أداء فريضة الحج.. وهذا موجود عن فئة كبيرة تنتمي إلى الإسلام.. وكيف يسوغ لمسلم أن يعتقد أن صاحب أي قبر ينفعه في شفاء مريض.. أو جلب رزق.. أو دفع ضر. هذا هو الشرك الذي جاء الإسلام ليحاربه.. إن الأمة بحاجة إلى فهم صحيح للدين.. وممارسة راشدة لتعاليمه.. دعني أسألك.. ما معنى (الرشيد)؟

- (الرشيد) لم يرد في القرآن صراحة.. ولكن ورد قوله عز وجل.. ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ (الكهف) وذكره ابن القيم في الأسماء الحسنى وهو الرشيد بقوله وفعاله رُشْد وربك مرشد الحيران.. فهو الذي يرشد عباده إلى الهدى وهو حسن التقدير ويحب أهل الرشد والهداية.

لرمضان.. أحدثوا توبة

يوم السابع عشر من شعبان.. بعد صلاة العصر جلس إلي بو فيصل وأخذنا نحسب احتمالات بداية رمضان.. انتهينا إلى أن الجمعة أو السبت هو الأول من رمضان..

- أليس من الأفضل أن يعتمد مطلع واحد - مكة مثلاً - لهلال رمضان.. والحج.. حتى تتوحد الأمة الإسلامية؟!

- بالطبع لا.

استغرب صاحبي سرعة إجابتي الجازمة.. تابعت:

- أولاً.. لأننا نؤمن أن تشريع اللّه هو الأكمل للفرد والأمة أراد اللّه لهذه الأمة أن «تصوم لرؤية الهلال.. وتفطر لرؤية الهلال».. فلا تحديد بتاريخ.. ولا حساب.. وإنما بالرؤية الحسية.. ثم لكل بلد مطلعه يجتمعون عليه.. وثالثاً.. هذه الوحدة الشكلية.. لا يريدها اللّه لخير أمة أخرجت للناس.. بل يريد لهم وحدة أعظم من مجرد بداية رمضان.. والعيد.. والحج.. يريد لهم الاتحاد على كلمة اللّه.. وحبل اللّه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ (آل عمران: ١٠٣).. يريد لهم الاجتماع على التوحيد.. الأخلاق.. المبادئ.. الغايات الكبرى.. وينبغي أن تكون عقيدة كل مسلم - يقيناً - أن الاجتماع على بداية رمضان ونهايته.. لا قيمة له في توحيد الأمة الإسلامية وإلا لهدانا اللّه إليه.

- نسأل اللّه أن يبلغنا رمضان.. ويعيننا على طاعته فيه.. وأن يتقبل منا.. أتعلم ما الذي نحتاج أن نعده لرمضان؟

ـ هات ما عندك.

ـ نحتاج.. أن نحدث توبة صادقة.. أن نجدد الإيمان، نحتاج أن نقبل على اللّه بقلوب تائبة؛ فإن التوبة من أحب الأعمال إلى اللّه.. واللّه يحب التوابين.. ويفرح لتوبة عبده.

ـ كيف نحدث توبة صادقة؟

ـ نندم على ما مضى من الذنوب.. بصدق.. ونستغفر اللّه.. ونعقد العزم على ألا نعود إليها.. ونسأل اللّه الإعانة على ذلك.. بصدق.. ونجتهد في الابتعاد عن أسبابها.

ـ وإذا وقعت بعد ذلك؟

ـ لن ندع الشيطان يمنعنا من إحداث توبة صادقة بحجة «احتمالات وقوع الذنوب».. لنكن صادقين حال توبتنا.. فإذا وقع الذنب بعد ذلك.. نرجع فنتوب.. ونستغفر.

ـ وإلى متى؟!

ـ إلى أن يتوفانا اللّه. ألم تقرأ حديث النبي صلى اللّه عليه وسلم عن أبي سعيد رضي اللّه عنه «**إن الشيطان قال: وعزتك يا رب، لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني**»؟! (السلسلة الصحيحة)

فلنعقد العزم على أن نتوب إلى اللّه، قبل أن نعقد العزم على ختم القرآن وإفطار الصائمين..

بدع رجب!!

امتلأت الصحف اليومية بالإعلانات عن «العمرة الرجبية».. ورجب من الأشهر الحرم التي ذكرها الله في كتابه.. ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (التوبة).

ولكن الناس يعظمونه.. وأحدثوا فيه من العبادات ما لم يشرعه الله عز وجل.. كنت عند والدتي «تجاوزت السبعين».. إلتفتت إلي:

ـ يا ليت أؤدي (الرجبية) فإني أجد في نفسي شوقاً وقوة لأداء العمرة تدخلت شقيقتي الصغرى (متزوجة قبل شهرين).

ـ وما (الرجبية)؟

ـ (الرجبية).. يا (أم شملة) عمرة يؤديها الناس في رجب اعتقاداً منهم بعظم أجرها وفضلها عند الله تعالى وهي من جملة الأمور التي يعملها الناس في رجب ولم تثبت في كتاب الله ولا سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ـ تعني أنها (بدعة)؟!

ـ نعم.. فإن (البدعة) هي كل عبادة لم تثبت في كتاب الله ولا سنة

النبي صلى اللّه عليه وسلم ولم يعملها الرسول صلى اللّه عليه وسلم ولا الصحابة يؤديها الإنسان بنية التقرب إلى اللّه.. وذلك أن القاعدة في العبادات أنها توقيفية أي أن العبادة لا تثبت إلا بالقرآن أو السنة.. لأن اللّه أمرنا أن نعبده بما شرعه لنا لا بما نخترعه نحن فالصلاة عبادة لا يجوز أن تؤدى إلا في وقت معين وبهيئة معينة وركعات معلومة، بل نهى الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن الصلاة في بعض الأوقات فلا يكفي (حسن النية) لجعل العبادة متقبلة. كما قال ابن مسعود «وكم من مريد للخير لم يدركه».

- لماذا كنيتني (أم شملة).

- (أم شملة) اسم من أسماء الشمس والدنيا والخمرة.

تدخل نسيبي (فهد) وهو من النوع (الحياوي) أو ربما لأنه لم يتعود علينا بعد.

- ولكن المرء يرغب أحياناً بأداء عبادة لشعوره بالحاجة للتقرب إلى اللّه أو الاستغفار، فهل يجب عليه أن يتثبت أن العبادة مشروعة؟!

- نعم، كما أن اللّه أمرنا بعبادته.. أمرنا ألا نعبده إلا كما أراد سبحانه وبيّن لنا كيف نعبده.. بأعمال النبي صلى اللّه عليه وسلم وسنته. ولذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: «**كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد**» (متفق عليه).. أي مردود، بل البدعة أعظم إثماً من الكبيرة. فإن صاحب البدعة يحرم المغفرة إلا أن يتوب عن بدعته. وبعض البدع توصف بأنها (بدع شركية)، أي توقع الإنسان بالشرك من باب العبادات فيدعو غير

الله، ويذبح لغير الله ويتمسح بالقبور وينذر لها.. وأقل ما في البدعة أنها تحبط العمل من حيث يظن صاحبها أنه يتقرب إلى الله.. ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤﴾ (الكهف) ورجب من أكثر الأشهر التي (ألّف) فيه أناس بدعاً في الدين من صلاة.. وصيام اعتقاداً بفضلها ولذلك صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يضرب الناس على صومه ويقول: «كلوا فإنما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية».. وقال أكثر أهل العلم: أحاديث فضل شهر رجب كلها ضعيفة أو موضوعة فمن أراد أن يصوم فليكثر في شعبان.. وليتبع النبي صلى الله عليه وسلم في عبادته.. لأن (كل بدعة ضلالة)..

حقيقة الدنيا..

ـ تنتابني لحظات أشعر فيها أنني أجري وراء سراب وأبني قصراً من تراب.. هذه الدنيا كلها إلى زوال.. ونحن نفني أعمارنا في تحصيلها واقتنائها.. وفي لحظة سنفوتها إلى دار قرار.. لم نكن نعد لها.. ولم نستعد للانتقال إليها رغم أنه لا خيار لنا في لحظة الانتقال..

هكذا بدأ صاحبي حديثه المؤثر.. وجعلني أشاركه ما يشعر به.. بل أدخلني الحالة التي يمر بها..

ـ صدقت يا صاحبي.. ولكن ما الخيار؟

أجاب على الفور.. ودون تردد..

ـ الفرار إلى الله.. هو الحل ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ (الذاريات).. عندما يقرأ أحدنا كتاب الله بتدبر.. كما أمرنا الله عز وجل.. يجد الحل.. اسمع قول الله تعالى القول الحق.. القول العدل.. القول الدائم: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ (آل عمران)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ﴾ (الأنعام).. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾ (لقمان)، وقوله عز وجل: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ (الأعلى).. وآيات كثيرة تبين حال الدنيا.. وتكالب معظم الناس عليها.. ومن لا يتدارك نفسه ويلجمها، فإنها تلهث نحو الحياة الدنيا.. ولن تنال من الدنيا ما يشبعها!!

وهكذا يفنى العمر.. وراء الدنيا.. وفي لحظة يجد نفسه في ترحال عن كل ما جمع.. دون خيار.. أو فرصة لإعادة الحسابات.. وكأن كل ما مر به كان حلماً.. فاستيقظ فجأة ليجد نفسه يغادرها دون أن يأخذ منها شيئاً معه يتزود به.. هذه الحقيقة.. وغير هذا خيال.

كنا في طريقنا بعد صلاة العشاء لزيارة (بو سعد) أحد اثنين في مسجدنا تجاوزا السبعين.. كان قد تخلف عن حضور الجماعة لأيام بسبب مرض أدخله المستشفى.

أعجبني كلام صاحبي..

ـ أحدنا ينبغي أن يذكر نفسه دائماً.. (أنا في إقامة مؤقتة وسأرحل قريباً) لا سيما إذا فاته شيء من الدنيا.. أو نال غيره ما كان يسعى إليه..

ينبغي أن يتذكر دائماً قول الله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الصافات)، وذلك بعد أن ذكر الله الجنة ونعيمها وسعادة أهلها أن نجوا من النار.

أما أهل الدنيا فيقولون عن الصفقات الكبيرة (لمثل هذا) وللمناصب العليا (لمثل هـذا) وللشهرة العريضة (لمثل هـذا) نسأل الله العفو والعافية.

كدنا نصل منزل (بوسعد).. تابع صاحبي حديثه الإيماني..

ـ أحدنا يجتهد في النجاح في الدنيا.. بنيل الشهادة.. والوظيفة..

والترقي إلى الأعلى.. وهكذا خلقنا اللّه.. ولكن أن نتنافس.. بل ونتقاتل على الدنيا.. ونتكالب عليها.. ونمكنها من قلوبنا بحيث تملأ الدنيا القلوب.. جهد في النهار وتفكير في الليل وتخطيط بين هذا وذاك.. ثم ماذا؟ نعم.. ثم ماذا؟ نلت أعلى منصب يمكن أن تناله وجمعت أعظم ثروة يمكن أن تجمعها.. ثم ماذا؟ ثم ستموت وسترى أن لذة الجمع تلاشت.. ومتعة الثراء ذهبت.. وذلك قبل الموت.. تصبح المقتنيات لا قيمة لها.. وقد هرمت أو عجزت لمرض.. وهذا ربما يستطيع أن يتدارك الأمر قبل وفاته.. ولكن ستكون حسرات على ما فات.. لأنه لا يستوي من أفنى عمره يجمع المال.. وينال المناصب مع من أفنى عمره في طاعة اللّه يرجو مرضاته.. هذا إن كان جمعه من حلال خالص.. فما بالك بمن شابت أمواله الشبهات.. إن لم تكن محرمات صريحة.. أحياناً أقول.. وبصدق (الحمد للّه أنني لم أنل ذلك المنصب) و(الحمد للّه أن لم يجعلني ممن يلهث وراء المال).. مصيبة أن يفني المرء عمره في جمع الدنيا.. إذا كان أهل الجنة يتحسرون على (اللحظات) التي قضوها في الدنيا دون ذكر اللّه.. فكيف بمن أفنى عمره يجمع المال ويكثره.. دون ذكر اللّه.. ولو كان بالحلال؟!

تخليد البشر للبشر!!

عندما أزور بعض البلاد يحرص سائق الأجرة أو المرشد السياحي في الحافلة أن نمر على بعض التماثيل لأشخاص كان لهم دور في التاريخ البعيد أو القريب للبلد.

كنت وصاحبي في زيارة قصيرة إلى تركيا، واشتملت رحلتنا السياحية في الحافلة على العديد من هذه التماثيل.

- وماذا ينتفع صاحب التمثال من هذا النصب مهما علا في ارتفاعه أو عظم في حجمه أو ثمن في مادته، بل ربما يتعذب في قبره وفي الآخرة إن كان قد أمر أو رضي أن يبنى له هذا التمثال.

- هذه التماثيل تعبر عن الشكر والعرفان لهؤلاء الأشخاص لدورهم في بلادهم، ونحن نسمي الشوارع والمدارس وربما المناطق بأسماء أهل الفضل في بلادنا.

- كل هذا ربما يتباهى به أهل الميت من أبنائه وأحفاده، أما الميت نفسه فإنه لا ينتفع من ذلك بشيء إلا إذا كان صدقة جارية كالوقف مثلاً أوقفه أو أوقف له، أما التماثيل وأسماء الشوارع والمدارس، فلا قيمة لها بالنسبة للميت.

- ولكنه تعبير عن الامتنان والعرفان للميت.

- إذا كان غير المسلمين يهتمون بهذه الأمور بل ربما كانت هدفاً

وغاية لكثير منهم، فإن المسلم لا ينبغي أن ينظر إلى تخليد الناس له، ولا أن يكون هدفه أن يبقى ذكره بين الناس، لأن هذا «القصد» يحبط العمل فمن تميز بعلمه ليقال عالم ويخلد ذكره، فهو إلى النار، ومن أنفق ماله ليقال جواد ويخلد ذكره فهو إلى النار، ومن قاتل وقتل ليقال شهيد ويخلد ذكره فهو إلى النار، وهذه الأعمال ذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم محذراً من عدم إخلاص النية، وإلا فإنها ذكرت على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، وذلك أن هذه الأعمال مع عظمها في شريعة الله، فإنها سبيل إلى النار إن لم تقترن بالإخلاص.

تابع صاحبي الحديث..

ـ ومن هؤلاء (حاتم الطائي) مضرب المثل في الكرم، لم ينفعه بقاء ذكره، كما جاء في الحديث أليس كذلك؟

ـ بلى.. فإنه أنفق ليقال (كريم) ويخلد ذكره بين الناس، وقد قيل ما أراد، إن المرء إذا أراد خير العمل ينبغي أن «يتعامل» مع الله عز وجل، ينظر إلى رضى الله، وقبول الله، ووعد الله، والعزة من الله، وينسى المخلوقين، لأنهم لا يملكون شيئاً على الحقيقة، فمن أراد العزة ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ (يونس) ومن أراد طيب الذكر، والقبول، فإنه من الله، وكل ما عند البشر ينفد .. ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ (النحل).

ـ هل رأيت الشخصيات الموضوعة في متحف الشمع في لندن؟

ـ كلا، وإنما مررت على ذلك الذي في نيويورك، ورأيت من الشباك الخارجي، تمثالاً لأحد الممثلين، وأقسم بالله أنني اختلفت وزوجتي أنه تمثال، أم حقيقي، وتقول زوجتي إنه رمش بعينه، ثم تبينا أنه تمثال من شمع، ولا شك أن هؤلاء المصورين هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه التماثيل كما الأحياء، يقال لهم (احيوا ما خلقتم)، وما هم بفاعلين، لذلك لا ينبغي لمسلم أن يرضى أن يصور تمثاله ويوضع في مثل هذه الأماكن، لأن من رضي بهذا الأمر وساهم فيه، يشرك صاحبه في الذنب.

احرص على ما ينفعك

من أصعب المشكلات الأسرية تلك الفجوة التي تتولد بين الأب وأبنائه وذلك أنها تتسع مع الوقت إن لم يتعامل معها الأب تعاملاً صحيحاً. فهو المسؤول وإن كان الأبناء هم السبب.

إلتقيته بعد صلاة العصر.. ابتدرني.

- كلما رأيت أبا عبدالعزيز - وقد تجاوز الثمانين - يحرص على صلاة الجماعة كل فرض.. أتحسر على ابني الذي أصبح الحديث معه ضرباً من المستحيل.. فلا أكاد أنصحه بشيء حتى يعد الحديث هجوماً عليه ونقداً لتصرفاته.. ويتمترس وراء منطق عجيب.. (أنا كبرت.. أنا أعرف مصلحتي.. أنا أحرص على الصلاة وإن كنت لا أصليها في المسجد معكم.. إلخ).. كلام.. كلام أخشى أن أرد عليه فتقع مفسدة أكبر.. فألوذ (بالحوقلة).

كان صاحبي.. متحسراً أكثر منه شاكياً.

- هذا حال كثير من الأبناء.. وكثير منهم تراه في المسجد قبل أبيه.. وربما لا يحضر أبوه إلى المسجد أبدا.. على أية حال الأمر ليس بالسهل، ولكن أحدنا يبقى مجتهداً في نصحه.. مستمراً في توجيهاته.. بلطف وهدوء.. لعل وعسى.. ولا ينسى الدعاء فإنه أقوى معين.. أذكر مرة أنني أتفقت مع أحد الآباء أن أنصح ابنه بعد أن فشل في دراسته الجامعية.. وكأنني لا أدري.. قلت له.. هل تعلم عظم أمر الصلاة؟ قال نعم.. ولكنني

لا أريد أن أتدين.. أريد أن أنجح في حياتي العملية.. في دراستي.. قلت له وما المانع؟.. انجح في حياتك بل الله يحب لك أن تتفوق في دراستك.. وعندما استنصح أحدهم الرسول قال له صلى الله عليه وسلم: «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز**» (مسلم) فمطلوب من المؤمن أن يحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه.. والتفوق في العمل والدراسة.. مطلوب.. ولا يتعارض مع الدين بل يتفق معه

أجاب.. ولكني أشعر أن التوفيق بين الدين والدراسة صعب.. إذا كنت سأذهب إلى المسجد للصلاة.. أضيع أكثر من نصف ساعة بين الوضوء والصلاة.. ثم لا أستطيع أن أسهر إن أردت أن أصلي الصبح.. ويجب أن أقطع دراستي وأرجع إليها في فترة المغرب والعشاء وأنا أريد أن أدرس بطريقة متواصلة دون انقطاع.

بصراحة شعرت بصعوبة إقناعه. ولكنني حاولت للمرة الأخيرة.

ـ تعلم يا بني أن التوفيق والنجاح بيد الله.. فالذي يمنح التميز.. والتفوق هو الله عز وجل.. نعم جعل لذلك أسباباً مادية.. ولكن في النهاية الأمر من عنده.. وتعلم كذلك أن الصلاة فرضها وأوجبها على الناس خمس مرات في اليوم.. ولا يمكن لشيئين من ذات المصدر أن يكونا متناقضين.. ولذلك أجزم دائماً أن الشعور بأن الصلاة فيها إضاعة للوقت إنما هو من وسوسة الشيطان.. وإلا فيمكن أن يراها أحدنا أنها فترة لتركيز المعلومة.. واستعادة النشاط.. وإراحة المخ.. ولا أشك أن حفظ القرآن يزيد من قدرات الطالب على الدراسة.. مع أن بعضهم يرى

ذلك إضاعة للوقت.. ولكن ترى الطالب الذي يحافظ على دينه ودراسته يحتاج وقتاً أقصر للفهم والاستيعاب.. وتراه بفضل الله يجمع الدين والدنيا.. وعلى أية حال الواحد - إذا اتبع هذه القاعدة لن يندم أبداً.. ولن يضيع وقتاً أبداً احرص على ما ينفعك - في كل شيء.. في عقيدتك وعبادتك وتعاملك ودنياك..

أيقنت أن أحاديث الأخلاق والآداب والمعاملات لا تؤت ثمارها إلا بعد أن يكون عند أحدنا يقين وعقيدة راسخة باتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

عندما نفقد عزيزاً

يقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

أشهد أن الموت حق..

ولله ما أخذ ولله ما أبقى.

بهذه الكلمات كان عليّ أن أنقل خبر وفاة (خالد).. إلى رواد مسجدنا بعد صلاة عصر السبت.. لم أستطع إتمام جملتي.. خنقتني العبرة.. استجمعت ما بقي من طاقتي..

توفي قبل الصلاة أخونا (بو محمد) العصفور.. إنا لله وإنا إليه راجعون وبكلمات متقطعة.. أخفاها البكاء أعلنت أن الدفن صباح اليوم التالي في التاسعة صباحاً.

كلنا يؤمن أن الموت مكتوب على كل مخلوق.. ولو خلّد أحد لكان الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى بذلك.. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ (الأنبياء). ولكن إذا مات حبيب على قلبك.. تشعر كأنما قطعة منك انتزعت.. قطعة من فؤادك أو كبدك.. أو جسدك عموماً.. اقتطعت.. ويبقى مكانها فارغاً.. لا يعوضه شيء.. حتى يزول الألم.. مع مرور الزمن..

كان (أبو محمد).. حمامة مسجد.. كتبت عن أسئلته.. عن نقاشاتنا.. وتحاورنا.. عن تعليقاته الخفيفة المضحكة.. حرصه على قراءة كتاب

اللّه.. وبعده عن (القيل والقال).. منذ عرفته قبل ثلاث عشرة سنة. ما رأيته إلا على خير.. وما أسمع عنه إلا الخير.. ولا أزكي على اللّه أحداً..

لسبب ما قررت الرجوع باكراً من إجازتي الأسبوعية لأدرك صلاة العصر في مسجدنا.. ولم أضطجع قبل الأذان كعادتي.. بل تهيأت للصلاة.. وما أن سمعت النداء كنت خارج المنزل.. إلتقيت (بو علي) عند باب المسجد.. صافحني.. شد على يدي.. وغلبه البكاء.. وبصوت متقطع.. أخبرني بوفاة (خالد).. لم أستوعب الخبر فسألته..

(بو محمد)؟.. أجاب (نعم).. استرجعنا.. دخلت المسجد ولم أكن قد استوعبت الخبر بعد.. وذهب هو للوضوء.

أديت أربع ركعات قبل العصر.. فإذا أحدهم عن يميني يقرأ القرآن.. ويبكي.. أتممت الصلاة.. وبقيت على هيئة التشهد حتى أقام الصلاة.. بعد الصلاة نقلت الخبر لرواد المسجد وعندها شعرت بشدة الخبر..

اللهم إن عبدك (خالد) فقير إلى رحمتك.. أشهد أنه كان من المحافظين على الصلاة.. المجتهدين في الطاعات.. مبتعداً عما يغضبك.. اللهم فاغفر له.. اللهم ارحمه.. اللهم تجاوز عن سيئاته.. اللهم ضاعف حسناته.. اللهم هون عليه في قبره.. وثبته عند سؤاله.. ووسع عليه الضيق.. وأزل عنه الظلمة.. وآنس عليه الوحشة.. اللهم إنك عن تعذيبه لغني.. وهو لرحمتك لفقير.. اللهم فارحمه واغفر له فإنك أنت الغفور الرحيم.. اللهم أسألك بأنك أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد..

أن تنزل رحمتك ورضاك على (خالد).. وتؤمنه في قبره.. وإذا بعثته.. أن تجعله في كنفك وظلك يوم لا ظل إلا ظلك.. وأن تجعل الجنة مآله.. دون عذاب ولا حساب.. اللهم إنه عبدك الفقير.. انقطع عن الدنيا.. وصار إلى الآخرة.. فلا تتخل عنه بالرحمة والرضوان.. ولا تحرمه عظيم لطفك وغفرانك..

اللهم وأسألك باسمك الأعظم الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت.. أن تهون عليه في القبر.. وتطمئنه عند البعث... وتستره في الحشر.. وتعينه على الصراط.. وتجعله من أهل الجنان الذين نالوا رضاك وعفوك.. اللهم لا نجاة له إلا برحمتك فارحمه رحمة واسعة يا أرحم الراحمين.. اللهم آمين..

عمرك.. كيف انقضى؟

ـ في بدايات الحياة.. يظن أحدنا أنه يقضي وقته كيف شاء.. أعني يكون أحدنا هو المتحكم بحياته.. بوقته.. بنشاطاته.. ومع مرور العمر.. وازدحام المسؤوليات.. وبتدرج شديد.. يصبح للحياة «نسق».. معين.. فتصبح الحياة هي التي تسير وفق هذا السياق.. ويعجز الإنسان أن يغير شيئاً منها.. ولذلك تنقضي الحياة ـ لمن يستسلم لها ـ بطريقة ربما لا تتفق وما يريد..

ـ هل تعني أن المرء يصبح مسيراً لا مخيراً؟

كنت وصاحبي في نقاش ابتدأناه لأننا لم نجد شيئاً آخر نتحدث عنه!!

ـ المرء هو الذي يسير نفسه.. فيدخل نفسه «دوامات».. دوامة العمل.. دوامة الأصدقاء.. دوامة الأهل.. وتدور هذه الدوامات بصاحبها.. فتجده لا وقت لديه لأمور جديدة.. وهذه تزداد قوة مع مرور الوقت.. حتى يشعر بعد سنين أنه لا يستطيع تغييرها.. بل ربما لا يريد تغييرها لأنه اعتاد عليها وارتاح فيها.. فلا داعي للتغيير وإحداث اضطرابات.. ولكن ليس هذا هو المهم.. المهم.. هل هذه «الدوامات».. تقرب الإنسان من الله؟ أم أنها تبعده عن الله؟ أم أنها لا تقربه ولا تبعده؟! هذا هو السؤال.. وذلك لأنه بمجرد انقضاء الأجل.. وحدوث المنية.. يشعر المرء بأهمية الوقت.. بقيمة الحياة التي انقضت.. فإن كانت في طاعة.. تمنى أنه ازداد منها.. وإن لم تكن في شيء.. ندم عليها.. وإن كانت في معصية.. «مات» حسرة منها.

كان صاحبي يستمع.. ويقدم لنا الشاي والمرفقات.. تابعت حديثي..

ـ مثلا.. عندما أسمع أو أقرأ نبأ وفاة أحد الممثلين.. يذكرون أول فيلم قام بتمثيله.. أو قامت بتمثيله.. وعدد الأفلام التي مثلها وآخر دور قام به.. بمعنى.. أن هذا الإنسان انقضت حياته.. بين كاميرات التصوير.. وسيناريوهات الأفلام.. ودور السينما.. وكذلك عندما أسمع عن وفاة مغن.. أو مقدم برامج.. يذكرون برامجه.. حياته.. أول وآخر نشاط.. وهذا.. أو ذاك.. ماذا أخذ من حياته؟! بعد ثمانين سنة عاشها.. هل خرج بشيء؟! هل «استثمر» شيئاً دائماً يبقى معه؟!

أعني.. بكل بساطة.. وبحسبة مادية بحتة.. هل من العقل أن يعيش المرء ثمانين سنة.. ويخرج من الدنيا.. بدون شيء؟! كل ما فعل للدنيا سيبقى في الدنيا.. الأفلام.. التمثيليات.. الأغاني.. الشهرة في الملاعب الأموال الطائلة.. كله سيبقى في الدنيا.. يذكره الناس بها.. ولكن لا شيء معه في القبر.. وربما.. كان هذا الذي تركه.. وبالاً عليه في قبره.. هؤلاء كانوا في الدنيا.. يقولون: (لا وقت لدينا نضيعه).. لانشغالهم الشديد في التجارة.. أو الحفلات.. أو الأفلام.. أيا كانت.. ولكنهم في الواقع «ضيعوا الوقت كله».. وأضاعوا الحياة كلها..

ـ وهل هذا الشعور عند الحساب أو في القبر.. أو متى؟!

ـ هذا الشعور ملازم للإنسان منذ لحظة وفاته.. وإلى مآله الأخير.. لحظة موته يشعر أن الحياة كانت حلماً استيقظ منه.. في القبر يتحسر على انشغاله عن طاعة الله.. ويطلب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ

أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (المؤمنون).. وفي الآخرة يقولون: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ (الزمر). وحتى في النار يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ (المؤمنون).. وكلها نداءات صادقة حقيقية.. في لحظتها.. ولكنهم لو عادوا لما غيروا شيئاً مما كانوا فيه..

والعجيب في الأمر.. أنه حتى أهل الجنة يندمون على لحظات.. لا ساعات.. ولا أيام.. ولا شهور.. ولا سنوات.. بل على اللحظات التي قضوها في غير ذكر الله.. لما يرون من الخير الذي يناله من فعل ذلك!!

قاتل نفسه

زرته في منزله بعد فترة انقطاع لأكثر من سنة، كنا فيها على اتصال متقطع بواسطة الهاتف.. وربما إلتقينا على غير موعد في السوق المركزي.. كانت زيارتي لحاجة من مركز عمله.. رحب بي وقدمني في دخول المجلس.. تحدثنا عن أحوال البلد عامة وخاصة من الجانب السياسي.. بينما الخادم تولى أمر القهوة والشاي.. سألني:

ـ هل قاتل نفسه يخلد في النار؟

ـ هذا من الأسئلة التي تلتبس على كثير من الناس؛ لحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن شرب سماً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**» (صححه الألباني).. وكذلك أحاديث أخرى.. والصحيح أن هذا «الخلود» في النار ليس كخلود الكافرين.. بل هو خلود للمسلمين.. بمعنى أنه فترة زمنية طويلة لا يعلمها إلا اللّه، وذلك أن الخلود الدائم الذي لا يخرج صاحبه من النار لا يكون إلا لمن كان مشركاً؛ لأن اللّه يغفر كل الذنوب عدا الشرك.

قاطعني «بو سلطان» مستفسراً:

ـ ألا يمكن أن يراد بالحديث من لم يتب فإنه يخلد كالكافر.. ومن تاب لا يخلد؟

ـ كلا.. من تاب من ذنب لا يعذب به يوم القيامة.

ـ حتى وإن كان الذنب يتعلق بحقوق الآخرين؟

ـ إن كان الذنب يتعلق بحقوق الآخرين فإن المرء يعطيهم من حسناته يوم القيامة، حتى إذا فنيت أخذ من سيئاتهم.. هذا إن لم يصلح اللّه بينهما.. واللّه سبحانه يعامل الجميع برحمته يوم القيامة.. أما إذا تاب العبد توبة صادقة إلى اللّه فإن اللّه يقبل توبته حتى إن عجز عن رد مظالم الآخرين.. فإن اللّه يتولى أمره يوم القيامة.. بصدق توبته.. ولقد ذكر الرسول صلى اللّه عليه وسلم بعض الذنوب أنها تؤدي للخلود في النار.. وجميعها تُحمل على بيان عظم هذه الذنوب، فإن الخلود خلودان: خلود لأهل الإسلام، وهم من ماتوا على التوحيد ولكن وقعوا في ذنوب عظيمة، وهو المكث الطويل في النار.. وخلود لأهل الشرك، وهو المكث الدائم الذي لا نهاية له في نار جهنم..

ـ لقد كان هذا الموضوع محل نقاش بيننا قبل يومين في ديوان الأهل، وأخبرتهم أن الأمر كما بينت.. ولكن لم أجزم بشيء لأنني لم أكن اطلعت على هذا التفصيل.

ـ يقاس على ذلك من ترك شيئاً من أركان الإسلام من غير جحود وكذلك من عق والديه وأدمن الخمر.. «**لا يدخل الجنة نمام**» (متفق عليه) «**لا يدخل الجنة عاق**» (السلسلة الصحيحة).. «**لا يدخل الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من كبر**» (مسلم).

وهكذا كل هذه الأحاديث تحمل على أنه يحرم دخول الجنة ابتداء، ولكن مآله إلى الجنة إن لم يقع في الشرك، وهو تحت مشيئة اللّه إن لم يتب من الذنب.

عجز الإنسان

يصف الله تبارك وتعالى الإنسان بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ (العلق)، والإنسان اسم جنس يستغرق جميع الناس.. ولكنه استغراق عرفي يريد به الكافرين لأنهم الأغلب.. وإلا فالمؤمن مستثنى من ذلك كما في ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ (المعارج)، وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ (العصر).

قاطعني:

ـ وما الطغيان.. ابتداء؟

ـ «طغى» في اللغة: جاوز القدر وارتفع.. جاوز الحد المقبول.. وفي التنزيل: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ (النازعات) وقبلها: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ (النازعات).. فالإنسان إذا تمكن من الدنيا طغى.. ولا سيما إذا جمع «أسباب الطغيان».

ـ وما «أسباب الطغيان»؟

ـ الرئاسة والمال والعافية والعلو في الأرض.. ويبدأ الطغيان بـ: «أنا».. فثروته.. بجهده وكده، وذكائه. وعافيته بالتغذية الصحيحة والرياضة والراحة، ومركزه بمواظبته وحرصه وتعبه، وهكذا ينال كل ما يريد، ولا يعجزه شيء، ولا يعجز عن شيء، ويتدرج في الطغيان حتى يصل إلى درجة الألوهية.. كما قال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ (النازعات)، وإن كان فرعون قالها تصريحاً فإن كثيراً من الملوك سواه يقولونها «تلميحاً».

ـ دعنا من الملوك.. لنتحدث عني وعنك.

ـ الإنسان إن لم يتق الله في جميع أحواله الدنيوية؛ فيرجع الفضل لله في كل شيء: نجاحه، وثرائه، وعافيته، وذريته، ومنصبه.. فإنه يقع في شيء من الطغيان، ولذلك تأتي الابتلاءات «رحمة» من الله لعباده.. يذكرهم بضعفهم، وعجزهم، وقصورهم، وحاجتهم لله عز وجل، فيمرض أحدهم ولا يجد علاجاً، أو فجأة يفقد عزيزاً ولا يجد حيلة، ويرزق بمولود ذي عاهة ولا يجد نصيراً.. وهكذا تأتي الابتلاءات تذكيراً للإنسان حتى يرجع، وبعضهم لا يتعظ ولا يرجع، بل ربما يتمادى، ويزداد تجبراً وكفراً، ولا يتوقف عن طغيانه إلا بالموت، وهذه هي الحقيقة الكبرى التي لا يصمد تجاهها أحد، فالجميع يموت مستسلماً راغماً، غير راغب، وعندها ربما يتذكر، أو يندم..

ـ أليس في قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف شيء من ذلك؟

ـ نعم، في أصحاب الجنة أيضاً في سورة القلم، وفي قارون، وعاد وثمود.. ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾﴾ (الفجر)، والعبر كثيرة، وفي حياتنا، ومن حولنا ولكن أين من يعتبر؟!

الحجاب.. عبادة!

أثار أعداء الحجاب زوبعة كبيرة سرعان ما ذهبت أدراج الرياح.. كما الزبد.. قالوا: إنه مجرد عادة موروثة وتقليد متخلف.. قالوا: إنه حرية شخصية.. لا علاقة لها بالدين.

ويعجب المرء.. ماذا يريد هؤلاء من وراء حملتهم؟ ولماذا لبس النساء للحجاب يزعجهم؟ هل ينقص من أرباح تجارتهم؟ أم يضيق من حرياتهم؟

عجباً لقولهم..

كنت وصاحبي في رحلة قصيرة إلى الخفجي ـ المدينة الحدوية في السعودية..

ـ هل قرأت ما كتبه أحدهم حول علة تحريم الحجاب.. واستناده إلى قواعد أصول الفقه.. ليصل إلى أنه لا أساس للحجاب هذه الأيام..

ـ بصراحة.. لقد كشف هذا كم هو ضحل التفكير.. قليل العلم.. بل ومعدوم المنطق.. فهذا ليس من أهل العلم الشرعي.. فلو كانت لديه ذرة منطق ليتساءل قبل أن ينطق.. هل سبقني أحد إلى هذا القول من أهل الاختصاص؟! فإن لم يجد أحداً.. فكان الأولى أن يستر جهله ولا ينطق.. وذلك أنه استشهد بقول الله عز وجل في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾.. ولا أظنه قرأ إلا طرفا من

تفسير هذه الآية مما يتفق وهواه.. فجعل علة الحجاب تميز المرأة عن الإماء والعواهر.. فلما انتفت هذه العلة.. انتفى الحكم!! ولا أعلم من أين جاء بأن هذه هي العلة في الحجاب.. ولم ينظر إلى آيات الحجاب الأخرى كالآية (٣٠) من سورة النور، والآية (٦٠) من نفس السورة، والأحاديث الكثيرة المتواترة والآثار.

ـ هذا لا يلتفت إليه لتفاهة منطقه.. أما الآخر.. ذا المنصب الرفيع.. فقد انتقد الحجاب.. وليس بمتزوج.. والثالث.. طالب نساء المسلمين اللاتي يؤدين فريضة الحج.. ألا يرجعن من الحج.. بحجاب.. أو نقاب.. حتى لا يحرم من النظر إلى محاسنهن!!!

ـ هؤلاء مكشوفون.. وعبروا عما يريدون.. والدور الآن على نساء المسلمين اللواتي ذهبن لأداء فريضة الحج يبتغين وجه الله والدار الآخرة.. فإن كان حجهن طلباً للحجة.. وسعياً للمغفرة.. فلا ينبغي أن يرجعن إلى ما كن عليه من إظهار الزينة لغير من ذكرهم الله في سورة النور.. وإن كن ذهبن ليقال.. فلانة أدت الحج.. فسوف يقال عنها ذلك في الدنيا.. ولن تنال شيئاً عند لقاء الله..

إن دعاة الشهوات.. لن يتوقفوا عن دعواتهم.. وذلك أنه نَفَسُهُم الذي يرددون.. وقوتهم الذي يأكلون.. فإن انحسرت دعواتهم اختنقوا.. وضاقت بهم الأرض بما رحبت.. وانكشف الجانب الهمجي فيهم..

ـ وماذا عن الذي ينكر أن الحجاب شعيرة من شعائر الإسلام.. ويحاربه؟!

ـ هذا على باب خطير من أبواب الضلال... فإن الحجاب من (المعلوم من الدين بالضرورة) حتى النصارى يرون أن الحجاب رمز الإسلام.. وبعض من ينتسب إلى الإسلام يزعم أنه ليس من الدين في شيء.. بل وفي بعض البلاد يسعى أهل الشهوات إلى سن القوانين لمنع الحجاب والتضييق على المحجبات.. وبعضهم يحاربه من باب أنه يميز المجتمع بين متمسك بالدين.. ورافض للشريعة.. وبعضهم يحاربه من باب أنه مجرد قطعة قماش لا تعني شيئاً.. لا سيما وأن بعض المحجبات يأتين من الأعمال ما يخجل اللسان عن ذكره.. وكل هذا وغيره كثير.. إنما هو من وحي شياطين الإنس والجن ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (الأنعام).. إن الحجاب أمر أنزله الله في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته.. ينبغي على المؤمنات الإيمان بوجوبه.. أولاً.. ثم العمل على اتباعه بطريقة صحيحة ثانياً.. ولباس المرأة أمر تعبدي.. تتقرب به إلى الله.. وسوف تسأل يوم القيامة عنه وتحاسب عليه.. والله تبارك وتعالى.. كما أمرنا بالصلاة وعلمنا كيف نصلي.. وعلمنا الصيام.. علمنا كذلك.. ماذا نأكل.. وماذا نتجنب.. وماذا نشرب.. وماذا نترك.. وماذا نلبس.. وماذا ندع.. وهكذا.. المؤمن يعلم يقيناً أن الله لم ينزل حكماً ولا شرعاً إلا وفيه صلاح الأمة ووقايتها من مكائد الشيطان.

لهذه الأسباب خلعت الحجاب

قريبتي (منيرة).. تطلقت، تزوجت، ثم تطلقت مرة أخرى.. لماذا أقول (تطلقت).. لا (طُلقت)؟.. لأنني على يقين بأنها هي سبب الطلاق.. ولا سيما في المرة الثانية، لأنني كنت على علم بدقائق الأمور.. اجتمعنا على غير موعد عند شقيقتي.. وكانت قد خلعت الحجاب بعد الطلاق الثاني..

- هل لي بسؤال.. آمل ألا يضايقك.. وأن تجيبي عليه بصراحة.. أجابت - كعادتها.. بحدة..

- إذا كان عن الزواج والطلاق.. لا تسألني أما غير ذلك فنعم.

- كلا، إنه ليس عن الزواج.. لماذا خلعت الحجاب؟!

كأنما فاجأتها بسؤالي.. ذلك أنه مضى على خلعها الحجاب أكثر من ثلاث سنوات.

- تعلم أنني في زواجي الأول لم أكن محجبة.. وارتديت الحجاب بناء على رغبة (مساعد)، وخلعت الحجاب قبل أن (أتطلق) منه.. ذلك لأنني أريد أن أشعر (بالحرية).. أشعر أن الحجاب (يقيد).. تصرفاتي.. الأماكن التي أتواجد فيها.. مثلاً.. عندما أسافر إلى اليونان.. أريد أن أذهب إلى شواطئ الجزر الجميلة.. كيف أذهب وأنا محجبة؟ وعندما أسافر إلى باريس وأريد حضور الإستعراضات (الليدو).. كيف أذهب وأنا محجبة.. وإذا ذهبنا إلى ميامي.. كيف

أتمشى على رمال المحيط وأنا محجبة؟.. فأنا أشعر أن لا قيمة للحجاب.

تركتها تقول كل ما أرادت، فاسترسلت في ذكر قصص بعض المحجبات من سوء خلق، وقلة حياء، وسوء تصرف وبذاءة لسان، ثم تدخلت بعد أن انتهت..

- إذن نستطيع أن نلخص أسباب خلعك للحجاب بما يلي:

١ - رغبتك بالشعور بالحرية أو (اللاقيد).

٢ - سوء استخدام الحجاب عند بعض المحجبات.

قاطعتني..

- بل كثير من المحجبات..

- لا بأس.. ثم السبب الثالث: إنك تحجبت لأجل زوجك، وقد تطلقت منه.

- كلا، هذا السبب غير موجود، لأنني خلعت الحجاب قبل طلاقي، وشخصيتي أقوى من شخصيته، فأفعل ما أقتنع به، ولا يتدخل هو، بل لا يستطيع أن يتدخل..

- إن سمحتي لي أن - أبين لك وجهة نظري، إن السبب الرئيسي لخلعك للحجاب هو (عدم إيمانك به)، فأنت تحافظين على الصلاة.. حتى وأنت في ميامي أو باريس.. أليس كذلك؟

- بلى..

- وذلك لإيمانك بأنه لا ينبغي لمسلم أن يترك الصلاة، وإلا فقدَ هوية الإسلام، أما الحجاب،، فلا.. لذا أنا على يقين أن الحجاب الذي يبني على الإيمان لا يتغير.. الذي يبني على رغبات الأقارب أو عادات المجتمع.. (لا خير فيه) قاطعتني..

- ماذا تقصد بالحجاب الذي يبنى على الإيمان؟!

- أقصد حجاب المرأة اتباعاً لأوامر الله.. ورغبة في جنته.. وخوفاً من عقابه، وأنه أمر صريح في كتاب الله.. وسنة رسول الله وأنه هوية المرأة المسلمة، كما الصلاة هوية المسلمين عموماً رجالاً ونساءً.

قاطعتني مرة أخرى..

- لكن الحجاب ليس بمكانة الصلاة..

- نعم، هو ليس بمكانة الصلاة، ولكنه هوية المرأة المسلمة، والمحجبة حجاباً شرعياً.. تعلن أنها أطاعت الله بثيابها.. ومظهرها، نعم ربما تحرم نفسها من بعض متع الدنيا، ولكن هذه المتع لا شيء مقابل رضي الله.. وثواب الآخرة، والمسلم عموماً.. رجلاً أكان أم أمرأة - يحرم نفسه المحرمات.. رغبة في الحسنات.. وشعاره.. «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**» (مسلم).. والآجلة أبقي من العاجلة.. لذا ينبغي أن تراقب المسلمة ربها في حجابها من عدمه.. عندها يكون الحجاب شرعياً.. فيه الثواب والأجر، وبالطبع سوء استخدام هذه القضية الشرعية من بعض المحجبات لا يعني التخلي عنها.

وإذا استنسخوا بشراً؟

ناصر أحد طلبة الماجستير قرر أن يعد أطروحته تحت إشرافي تقربنا حتى أصبحنا أصدقاء تقريباً وذلك أن تجربتي مع الطلبة مهما اقتربت العلاقة وقويت تبقى مرتبطة بتخرجهم. وتنتهي بعد ذلك بانشغال الطرفين.

كنا في طريقنا براً إلى (البحرين) رحلة تستغرق خمس ساعات تقريباً..

ماذا تقول في نجاح بعض الدول في استنساخ بعض الحيوانات كالنعجة (دوللي).. وأظن فأرة.. وخنزيراً؟!

ـ ماذا تريد أن تعرف؟

ـ أعني.. هل هذا الأمر مقبول من ناحية شرعية؟! أو هل هو ممكن وفقاً لقواعد الشريعة؟!

ـ هم قاموا باستزراع خلية حية من كائن حي في جسد كائن حي آخر فكان الثاني طبق الأصل عن الأول. هل خلقوا شيئاً.. من لا شيء؟ هل أوجدوا شيئاً من عدم؟ أو حياً من ميت؟ كلا.

قاطعني..

ـ أعني هل بالإمكان أن يستنسخوا بشراً؟! وإن كان هناك من يعترض على ذلك من قساوستهم وأهل الدين عندهم..

ـ البشر.. لا يمكن أن يخلقوا ذباباً.. ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ (الحج) ولن يخلقوا ـ حبة بر ولا قطرة ماء بمعنى خَلَقَ (أوجد شيئاً من لا شيء) فآدم كان قطعة طين.. لا حياة فيه شكله الله على هيئة، ثم نفخ فيه الروح.. وبعد ذلك خلق حواء منه.. هذا هو الخلق.. والاستنساخ ليس بخلق.. قاطعني.

ـ بصراحة إذا استنسخوا بشراً سأجد في نفسي تساؤلاً عظيماً حول بدء الخلق. وآدم.. وكل شيء؟؟

فاجأني ناصر بعبارته هذه..

ـ هل تعني أنك ستنكر وجود الله وتعتنق المادية؟!

ـ أستغفر الله.. أنا لم أقل ذلك.

ـ قلت إنك ستشك.. والشك نقيض اليقين ومن شك في شيء من أركان الدين وقع في الكفر وإن كان يعتقد باقي الأمور.. فمن شك أن هناك (يوم للحساب) كفر وإن كان يؤمن بالله والملائكة والكتب والرسل ويصلي ويصوم.. فهذه أركان ومن هذه الأركان الإيمان بأن الله هو الخالق.. سبحانه.. ولا خالق سواه ولن يستطيع أن يخلق أحد شيئاً.. ولن يحيي أحد ميتاً.. أو يبث الروح في ميت فيقوم.. هذه كلها لله عز وجل.. وحده لا شريك له.. فحتى لو استنسخوا بشراً.. لن نشك ذرة واحدة بأن الله خلق آدم.. وأسكنه الجنة.. وأسجد له الملائكة وأنزله إلى الأرض.. وكل ذلك يقيناً دون أدنى شك.. وهنا الفرق بين المؤمنين

وغيرهم.. ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ (البقرة).. أما الذي سيشك في دينه لأجل (الاستنساخ) أو (الوصول إلى الكواكب الأخرى.. أو (تصوير الجن) أو غير ذلك، فهذا لديه خلل في أصل إيمانه وقاعدة إسلامه، عليه أن يراجعها ويبنيها على أساس صحيح متين لا يأتيه الشك مهما عمل البشر ومهما توصلوا إليه.

نور العمل

في رحلتي القصيرة لجاكرتا ـ عاصمة أكبر دولة إسلامية ـ بعد انتهاء أعمال المؤتمر أدركتنا الصلاة، فنزلنا لأداء العصر والظهر جمعاً في وقت الأخيرة.. فرش السجاد لأول صفين، وصلى الباقي على أرض نظيفة.. طاهرة.. كان هناك أعداد كبيرة من الناس عند المسجد، بل وضمن سور المسجد.. لم يؤدوا الصلاة معنا.. حتى ذلك العجوز الذي يهتم بأمر استلام الأحذية وتسليمها.. لم يصلِّ.. كان المسجد متوسط الحجم يسع ما بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ مصلي في الجزء الداخلي.. وعدد مماثل في الساحات الخارجية.. أكملنا الطريق.. بعد أداء الفريضة.. سألته:

ـ لماذا لا ينبه أحد هؤلاء الناس إلى الصلاة؟ وربما يأمرهم بها.

ـ هنا لا أحد له شأن بأحد.. من يريد الصلاة يدخل فيؤديها جماعة أو مفرداً.. ومن لا يدخل لا يأمره أحد ولا ينهاه.. وإلا أصبح تطرفاً.. بل ألم تر البارحة الأعداد الكبيرة من الشباب والفتيات في أحضان بعض.. لا يأمرهم أحد ولا ينهاهم.. وانظر إلى «الموتوسيكلات» ألا ترى كثيراً من الشباب يردفون فتيات خلفهم.. وقد لبسن الثياب الغربية.. وظهر من أجسادهن الشيء الكثير.. هكذا هو الإسلام هنا.. افعل أو لا تفعل.. لا أحد يحاسبك.. بل حتى صلاة الجمعة.. من شاء صلى.. ومن شاء لم يصل.. والعطلة الرسمية للبلد ليست الجمعة.. بل السبت والأحد!!

ـ حقاً؟!

وبالفعل استغربت أن يستكثر ولاة الأمر أن يجعلوا عطلتهم الرسمية الجمعة في أكبر دولة إسلامية.

كان صاحبي يحاول أن يتكلم العربية ما استطاع.. لأنه كان يدرسها.. سألني..

- ما معنى «نور العمل».. اسم المسجد الذي صلينا فيه.. أعرف معنى «نور».. وأعرف معنى «عمل».. ولكن نور العمل؟!

أعجبني سؤاله.. وحرصه على التعلم..

- هل تعرف آية النور من سورة النور؟

- نعم ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ (النور: ٣٥).. وتلى الآية كاملة..

- لو تدبرنا هذه الآية.. لا سيما قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ (النور).. هناك نور إيماني يقذفه الله في قلب المؤمن الصالح.. إذا هو أحسن في عقيدته وعمله.. وهذا النور يتجلى على وجه المؤمن أحياناً.. فترى وجه المؤمن أحياناً يتلألأ.. نتيجة ما يوجد في قلبه من نور إيماني.. وهذا النور نتيجة العلم والعمل..

- سمعت كثيراً عن هذا «النور».. ولكن لم أره.. وودت لو حصل لي..

- إنه ليس بالأمر الحسي.. وأحدنا لا يسعى وراء النتيجة الدنيوية

إذا هو أدى العبادة الشرعية بطريقة صحيحة.. فالعبرة أن يلتزم المرء بالأعمال الشرعية وفق هدي النبي صلى اللّه عليه وسلم وبإخلاص.. والنتيجة والفضل عند اللّه.. فمثلاً عندما يخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن اللّه عز وجل: «**إذا أحب الله عبداً.. نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه.. فيحبه جبريل وينادي في أهل السماء أن الله يحب فلاناً فأحبوه.. فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض**» (البخاري).. فهذه أمور غيبية. يحتسب المرء أن ينالها إذا هو عمل برضى اللّه عز وجل.. ولكن ليس بشرط أن يرى دلائل مادية عليها في الدنيا.. إن ظهرت فبفضل اللّه.. وإن لم تظهر فلا عبرة.. وهكذا نور العلم والعمل.

أحدنا يعمل بإخلاص في رضا اللّه على هدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إن نال شيئاً من الكرامات الدنيوية فبفضل اللّه.. وإلا فلا عبرة.. ولا يقال من تظهر له بعض الكرامات فهو من الأولياء حتى يعرض عمله على الكتاب والسنة.. إن كان متفقاً معهما.. فهو على خير.. وإلا فلا عبرة بما يظهر له.

نحن المخاطبون في القرآن

بعد عيد الفطر وقبل بدء العام الدراسي قررت وصاحبي أن نقضي يومين في جبال لبنان، استأجرنا سيارة صغيرة.. أخذنا إرشادات الوصول إلى مبتغانا.. بين جبال غطتها خضرة في جميع الاتجاهات.

- عندما نقرأ القرآن هل يخطر ببالنا أن الأوامر والنواهي والوعد والوعيد والبشارة التهديد موجهة لنا نحن مباشرة؟

- ماذا تعني؟!

- أعني أن أحدنا يقرأ مثلا قول الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ (النساء: ٢٩) أو قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، أو قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ (البقرة)، هذه الآيات وغيرها تخاطبنا نحن مباشرة.. فهو أمر من الله لنا.. دون واسطة.. الله سبحانه وتعالى يأمرنا.. فهذا كلامه.. تكلم به عز وجل؛ فينبغي علينا أن نستحضر هذه العقيدة حتى نتفاعل بصورة صحيحة مع آيات الله عز وجل ويكون لها تأثير علينا.

كنت خلف المقود - لأنني أكثر خبرة بتلك الأماكن - لم ندر مكيف المركبة بل أبقينا النوافذ مفتوحة نتمتع بالطقس الطبيعي.

ـ ربما هذا من الأمور التي يجب أن يذكّر أحدنا بها نفسه كل مرة يقرأ القرآن؛ حتى لا يقع بالغفلة وهو يقرأ القرآن.

ـ نعم.. فآيات الله فيها المواعظ والعبر.. ومن تدبرها كانت له خير سبيل للهداية والثبات على الحق.. مثلاً آيات الوعد والوعيد والتهديد: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ (البقرة) وقوله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (آل عمران).. ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ (النساء).. ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الأعراف) والآيات القصيرة: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ (الهمزة) فمن كان من هذا النوع.. فله هذا الوعيد.. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ (الماعون) فمن اتصف بهذه الصفة فالتهديد له.. والعذاب عليه.. وهكذا جميع آيات الله يجب أن نقرأها أنها كلام الله لنا نحن.. في الأمر والنهي والوعد بالجنة والثواب والوعيد من النار والعقاب.. فتخاف القلوب وترجو.. وتقشعر الجلود.. وتلين؛ فنكون بذلك تدبرنا كتاب الله عز وجل.

أكره.. أمي!

وصلني صوته عبر الهاتف:

- أريد أن أستشيرك.. ولكن قبل أن تقول شيئاً أريدك أن تسمعني.. وتطوّل بالك معي.

- سأفعل إن شاء الله.

هكذا بدأ حديثه بعد السلام.. كنت في الطريق إلى منطقة الوفرة الزراعية في جنوب البلاد.. تابع حديثه:

- أنا ولله الحمد رجل مصلٍّ.. وأقرأ القرآن.. متزوج.. ولدي بنت وولد.. مستقر في حياتي ومقتنع بدخلي المادي.. فلله الحمد والمنة.. فقد أسبغ علي نعماً أسأله تعالى أن يعينني على شكرها.. لكن لدي مشكلة كبيرة.. أمي.. نعم.. لا تعجب.. يا شيخ.. مشكلتي أمي..

لم أقاطعه ولم أعلق.. تركته يكمل:

- أمي.. تزوجت بعد وفاة زوجها الكويتي من غير كويتي.. ولأكون صريحاً: من «إيراني».. هو والدي.. توفي قبل سنتين.. وبالطبع أنا وإخوتي الأشقاء نحمل الجنسية الإيرانية.. وأمي كويتية.. وإخواني لأمي من زوجها الكويتي.. كويتيون.. وشقيقي الذي بلغ للتو الثامنة عشرة كويتي.

ظننت أن مشكلته في الجنسية الكويتية.. سكت.. وتركته يكمل:

ـ مشكلتي ليست في الجنسية.. فأنا مرتاح ولله الحمد.. ولكن أمي.. لا تفكر إلا في شقيقي الصغير.. تنفق عليه من أموالها.. وتسألنا لتعطيه.. بصراحة.. عقدت العزم ألا أستجيب لها في المرة القادمة.. لأنني أعلم أنها تأخذ الأموال وتقول إنها بحاجة.. ثم تعطي الأموال لابنها المدلل.. الذي يصرفها في ملذاته.. وترحاله وكل ما يغضب الله..

توقف قليلاً.. كأنما يريد إلتقاط أنفاسه.. أو كتم عبرته.. تابع: أمي عندما تزوجت «الإيراني».. لم تفكر إلا في نفسها.. وعندما استقرت مع آخر أبنائها المدلل هذا.. لم تفكر إلا فيه.. أما أنا وإخوتي الذين اشتغلنا وتعبنا حتى نكون لنا حياة كريمة.. فلم تفكر فينا أبداً.. وهي الآن تستغل حرصنا على طاعة الله لأخذ الأموال منا.. من باب بر الوالدين.. وخاصة الأم.

توقف.. سألته:

ـ هل أستطيع التعليق؟

ـ نعم.. قل لي ماذا أفعل؟

ـ أولاً: قضية زواج أمك من أبيك الإيراني.. هذه قضية انتهت ووالدك توفي.. وكما تصفه فقد كان نعم الرجل.. حنوناً كريماً.. فسل الله له المغفرة.. ولا تنسه بالدعاء.. أيا كانت تابعيته.. ولا تلم والدتك على هذا القرار.. بل أشكر لها ذلك ففي الزواج ستر.. وعفة.. والحمد لله أنكم نشأتم صالحين..

ثانياً: الإنفاق على الوالدين.. يكون بالمعروف.. وكذلك برهما.. فإذا كان الوالد.. سببا في تحطيم الأسرة وتفريق الأبناء.. فإنه لا يطاع.. ويبقى الإحسان له وبره بالمعروف.. فالطاعة ليست مطلقة.. فضلاً عن البر.. فإذا كان دخل والدتك يكفيها.. ودخلك لا يكفيك فلا تضيق على أسرتك.. واعتذر لها.. وأحسن إليها بالكلام.. فعندما أمرنا الله ببر الوالدين... وقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾.. فإن صدر الآية: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ (الإسراء)، فالأبوان عند الكبر.. ربما يصدر منهما شيء.. فلا تتأفف.. ولا تنهر.. ولكن رد بإحسان. وليس معنى ذلك أن تطيعهما فيما يضرك.

أما النقطة الثالثة.. فإنه لا شك أن من أكبر أخطاء الأب أو الأم تمييز ولد على آخر.. فإن هذا من الزور.. ومن الظلم.. ونهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.. ورفض أن يشهد عليه.. ولا شك أن أمك مخطئة إن كانت تميز أخاك الأصغر، فلا تضيق على أسرتك وأحسن إلى والدتك بالكلام.. واعتذر عن عدم قدرتك بالقول الحسن.. وإن غضبت بعض الشيء فسترجع إلى الصواب.. واستمر في زيارتها وصلتها وبرها.. فيما تستطيع.. ولا تجعل الشيطان يدخل إلى قلبك أنك تكرهها.. هذا لا ينبغي ولكن ادع الله لها.. وبرها.. بما تستطيع.

حب المال

ـ هل يجوز للمؤمن أن يحب المال حبه للحياة؟

هكذا بدأ صاحبي سؤاله بعد أن استشهد بالمثل (المال عديل الروح).

ـ أولاً.. أنا لا أفهم من المثل أن المرء يحب المال قدر الروح.. أو الحياة.. ولكن أفهم أن المال عزيز على النفس وهذا في فطرة الإنسان.. بل جعل الرسول صلى الله عليه وسلم من جملة الشهداء «**من قتل دون ماله**» (متفق عليه).. أي دفاعاً عن ماله وممتلكاته..

وثانياً.. حب المال لا ينبغي أن يكون أعظم من حب الله ورسوله.. واتباع الأوامر.. فمن أحب ماله وعصى ربه.. كان ماله وبالاً عليه ولكن أيضاً لا يفرط في ماله.. ففي الأول قال الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (التوبة) وفي الثاني قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٥﴾﴾ (النساء) فالمرء يسعى في جمع المال من حلال.. ويتمتع به في حلال.. ويؤتي حق الله فيه.. بل

مدح الرسول صلى الله عليه وسلم المال الصالح.. فقال: «**نعم المال الصالح للعبد الصالح**» (صححه الألباني غاية المرام).. ولكن دون أن يملأ المال القلب.. فيمنع حقه المعلوم واللا معلوم.

قاطعني...

ـ ما الحق المعلوم.. واللا معلوم؟ أول مرة أسمع هذا التعبير..

ابتسمت لاستغراب صاحبي..

ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ (المعارج) والحق المعلوم (الزكاة).. وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿١٩﴾﴾ (الذاريات).. وهي الصدقة.. فما دام المؤمن يكسب مالاً من حلال.. ويعرف حق الله فيه.. وينفقه في طاعة الله فهذا دون شك فضل من الله.. وفضل الله يؤتيه من يشاء..

لم يعجب كلامي صاحبي..

ـ كأنك تتكلم عن (المدينة الفاضلة).. وأين هؤلاء الذين يكسبون من حلال وينفقون في حلال ويعرفون حق الله؟!

ـ موجودون..

ـ والغالب؟!

ـ نعم الغالب ليسوا كذلك.. ولذلك ذم الله الغالب.. فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ (العلق).. والمال فتنة لمعظم الناس.. بل

أخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم فقال: «**وفتنة أمتي المال**» (السلسلة الصحيحة).. وأخبر أن غالب الناس.. لا يتوقف عن جمع المال إلا بالموت.. «**لو كان لابن آدم واد من ذهب لقال أريد آخر.. ولا يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب**» (متفق عليه).. و(الغالب).. وصفهم اللّه فقال: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ (لفجر).. فحب المال مصيبة في الدنيا والآخرة.. في الدنيا يجعل حب المال المرء «يركض» ليل نهار.. ويجمع.. ويجمع.. ويتمتع بمجرد الجمع.. ومضاعفة الأرقام.. وتزايد الثروة.. لذة عجيبة لا تعادلها لذة عند هؤلاء القوم.. ويموت ولم يتمتع بالمال.. بل تمتع بجمعه فقط.. ويأخذه الورثة.. سهلاً ميسراً.. وبعد الموت.. حساب منذ أول لحظة يقول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠﴾ (المنافقون) وذلك أنه غفل عن الصدقة.. ونسي الزكاة.. وربما تذكر.. واستعظم إخراجها.. لأنها بلغت عشرات الألوف!! ويستمر العذاب.. بأن يأتيه ثعبان أسود ضخم مخيف يلتف حول بدنه ويأخذ بشدقيه.. يقول: «**أنا مالك أنا كنزك**» (البخاري).. هذا في القبر.. ويوم القيامة يتحول كنزه إلى صفائح من ذهب تحمى في النار ويكوى بها.. على جبهته التي رفعها في الدنيا استعلاء.. وجنبه الذي أعرض به عن المحتاجين.. وظهره الذي ولاه السائلين.. نسأل اللّه أن يعصمنا من فتنة المال.. وحبه..

الإيمان.. بالأحلام!

كنا في جلسة عائلية كلها رجال بعد الانتهاء من تناول طعام الغداء.. سألني مشاري..

- عمي.. هل لك في تفسير الأحلام؟!

كان بعض الحضور منتبهاً والبعض الآخر منشغلاً.. أردت أن أنتهز فرصة السؤال لأبين قضية في العقيدة.. حصلت على انتباه الغالبية..

- الأحلام.. معظمها أضغاث.. وحتى تلك التي تحمل معاني ودلالات لا ينبغي أن يهتم الإنسان بها إلا لمجرد الاستبشار.. وهذا هو هدي النبي صلى اللّه عليه وسلم.. فقد كان يسأل أصحابه.. «**هل رأى أحدكم رؤيا**» (مسلم).. ويفسرها صلى اللّه عليه وسلم له بما أوحى اللّه إليه.. ودائماً بالخير.. أما في تعليمه لأصحابه، فعن أبي قتادة رضي اللّه عنه قال قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: «**الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً وليتعوذ بالله من الشيطان فإنها لا تضره**». رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

وفي رواية للبخاري ومسلم عن أبي سلمة: «**وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وشر الشيطان وليتفل عن يساره ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره**».

لذا الأولى بالمؤمن ألا يهتم بالأحلام.. ولا يبحث عن تأويلها ولا يتأثر بها.. ويقدم أو يحجم بسببها..

ـ إذن.. لماذا كل هذه الصفحات عن تفسير الأحلام.. والبرامج التلفزيونية والاتصالات.. والرسائل؟!

ـ أصبحت العملية تجارية.. أصحاب الجرائد تزيد مبيعاتهم.. وأصحاب التلفاز تدر عليهم الدعايات.. والرسائل القصيرة أرباحاً.. ولكن المحزن أن ينزلق بعض الصالحين في هذه القضية.. فإن البعض أصبح يمتهن تفسير الأحلام.. مع أن في الأمر محاذير.. أولها أن تفسير الأحلام من الضرب بالغيب.. وهو أمر لا ينبغي أن يتجرأ عليه أحد.. أما من يرى الرؤيا ويؤمن بها.. فهذا «إيمان الأحلام» ولا يجوز.. لأن الوحيدين الذين لرؤياهم مكانة شرعية هم الأنبياء.. وكان أول حال للنبي صلى اللّٰه عليه وسلم قبل أن يوحى إليه أنه يرى الرؤيا.. «**فتكون مثل فلق الصبح**» (الشيخان).. أي تحصل كما رآها.. «**والرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة**» (مسلم).. فالذي يقول: إن رؤياه تتحقق.. إنما يزعم الصلاح!!

ـ وماذا عن كتب التفسير.. والمراجع التي تجعل لكل شيء في الرؤيا معنى.. فيقول.. الماء.. حياة.. والخضرة رزق.. والذهب فتنة.. والحمل.. هَمّ..

ـ هؤلاء.. يضربون بالغيب.. وليس لهم ذلك.. فتراهم وضعوا معاني من عندهم للأمور الحديثة.. كالهاتف.. والطائرة.. والمركبات.. والأولى

بهم أن يتقوا اللّه ولا يلبسوا على الناس عقيدتهم.. ولا يشفع لهم أن يقولوا بعد كل تفسير.. «واللّه أعلم».. لأن القاعدة في تفسير الأحلام.. أن يؤولها المرء بخير دائماً.. وإلا فلا يؤول.. كما أمر الرسول صلى اللّه عليه وسلم.. والأولى بمن يرى شيئاً.. إن كان يكرهه.. استعاذ باللّه.. ولا يهتم فإنه لن يضره.. وإن رأى خيراً.. فليحمد اللّه ويستبشر خيراً.. ولا يؤمن بأن شيئاً يضر أو ينفع.. إلا اللّه عز وجل.. وهذه الرؤى ليست بشيء..

الوسوسة من الشيطان

الوسوسة هي ما يلقيه الشيطان في القلب، وفي اللغة: سمعت وسوسة الشيء «حركته»، وفي لسان العرب «الوسوسة» الصوت الخفي من ريح والوسواس صوت الحلي وحديث النفس، «والوسواس» بفتح الواو «الشيطان» وكل ما حدثك... وورد في كتاب الله.

- ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ (الأعراف: ٢٠)، يعني إليهما، والعرب تصل هذه الحروف كلها.

- ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ﴾ (ق: ١٦)، أى تحدث به.

- ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ (الناس) ذي الوسواس أي الشيطان.

وبدايته أنه عندما أبى واستكبر عن أمر الله بالسجود لآدم؛ أخرجه الله من الجنة وأمهله إلى يوم القيامة، وأعطاه القدرة على الوسوسة.

- وباقي الشياطين؟ لأن هذا الذي أبى واستكبر إبليس، أليس كذلك؟

- بلى الشياطين خلقها الله قبل خلق آدم وبعد أن أنزل إلى الأرض أخذ إبليس العهد أن يغوي بني آدم، هو وأعوانه، والله تكفل بحفظ أوليائه من الشياطين، ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ

إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ (الإسراء)، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (ص).

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (النحل).

- وكيف السبيل للتخلص من وسوسة الشيطان مع القيام بالأعمال كاملة؟!

- أولاً.. اليقين لا يزول بالشك.. فالشك هو الوسوسة؛ فيجب على المسلم ألا يستجيب للشك، فلا يعيد الوضوء لمجرد الشك في تمامه، ولا يعيد الصلاة لمجرد الشك في أركانها، بل الأصل بقاء اليقين حتى يأتي يقين يزيله، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**فلا يخرج من صلاته حتى يجد ريحاً أو يسمع صوتاً**» متفق عليه، وهذه أمور مادية محسوسة بالأذن أو الأنف لا مجال للشك فيها.

فالقاعدة الذهبية إرجاع الأشياء إلى أصولها، كل شيء طاهر إلا ما ثبتت نجاسته، والوضوء صحيح حتى يثبت انتقاضه، والصلاة صحيحة حتى يثبت يقيناً بطلانها.

صاحبي كثير السؤال عن موضوعات الوسوسة والشك والأحلام وأحياناً أشعر بالضيق لكثرة أسئلته ولكن لا أظهر له مشاعري آملاً أن يتخلص مما هو فيه، تابعت حديثي.

- وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**الحمد لله الذي رد**

كيده إلى الوسوسة» (صححه الألباني)، فهذه هي حدود قدرة الشيطان، «الوسوسة» وما أسهل التخلص منها، أولاً: لا تستجب لها، ثانياً: قل أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ (الأعراف).

- وماذا عن حديث صريح الإيمان؟

- الحديث عن أبي هريرة، «**جاء رجل فقال يا رسول الله إني أجد في نفسي الحديث؛ لأن أخِرّ من السماء أحب إلي من أن أتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم: «ذاك صريح الإيمان»** (صحيح مسلم).

أي خوفه من الكلام به، وعدم الاستجابة له، هو صريح الإيمان، لأن هذا من وسوسة الشيطان، فهذا الرجل لم يستجب له، وكرهه، لإيمانه بالله عز وجل، فهذا صريح الإيمان، لا أن الوسوسة صريح الإيمان!!

الشياطين تأكل.. وتتكاثر

كانت ابنة جاري معنا على مائدة العشاء.. كادت أن تضع اللقمة في فمها بيدها اليسرى..

نبهتها.. فوضعتها باليمنى ثم أكلتها.. شعرت ابنتي بالإحراج.

سألتني.. لتخفف من وطأة الأمر..

- هل صحيح أننا إذا أكلنا باليسار تأكل معنا الشياطين.

- نعم.. ففي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يأكلن أحدكم بشماله ولا يشربن بها فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها**» (مسلم).

وكان صلى الله عليه وسلم يعلم الصبيان فيقول: «**سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك**» (متفق عليه) أي: من الجانب القريب منك، ولا تمد يدك إلى الجانب الآخر البعيد.. إذا كان الطعام من ذات النوع..

سألت ضيفتنا الصغيرة..

- وهل الشياطين تأكل وتنام؟!

- الشياطين.. عالم من الغيب.. لا نستطيع أن نطلع عليه إلا من خلال ما أخبرنا به الله عز وجل في كتابه.. أو رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة.. فالشياطين هم العصاة من الجن.. وأبوهم إبليس.. والجن خلقوا قبل آدم.. يأكلون.. ويتكاثرون.. ويعيشون أعماراً

ثم يموتون.. إلا إبليس.. فإن الله قضي ألا يموت إلى يوم القيامة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ (ص).. وهم موجودون حولنا.. يروننا.. ويسمعوننا.. وربما باتوا في بيوتنا وأكلوا طعامنا.. إذا نحن دخلنا البيت ولم نذكر اسم الله.. وإذا أكلنا الطعام ولم نذكر اسم الله.. ويهربون من الأماكن التي يقرأ فيها القرآن.. خاصة سورة البقرة.. ويهربون عند سماع الأذان.. ولكنهم لا يملكون سلطاناً على المؤمنين.. وإنما سلطانهم على الذين يتولونهم.. ويتعاونون معهم.. ويستعينون بهم..

بدا حديثي غريباً على البنتين.. رغم أنهما تجاوزتا الخامسة عشرة..

- هل هناك من يتعاون مع الجن أو الشياطين؟!

- نعم.. بعض الإنس يتعاونون مع الشياطين.. بأن يحققوا لهم ما يريدون من معصية الله.. ويقوم الشياطين بتحقيق ما يريده الإنس من خداع للبشر لأخذ الأموال.. وقد ذكر الله ذلك في سورة الجن، فقال عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ (الجن).

فهؤلاء المشعوذون والسحرة والدجالون يأتون من الأعمال الشركية ما يرضي الجن فيلقي الشيطان إليهم بعض المعلومات الماضية.. مثل اسم الرجل واسم أمه وما حصل منه في الماضي.. فيظن الساذج من الناس أن هذا المشعوذ يعلم الغيب ويملك شيئاً من النفع.. فيستعين به مقابل أموال.. وهذا كله مما حرمه الله عز وجل.. سواء من جانب المشعوذ أو

من جانب من أتاه يستشيره.. ويستعين به.. ولذلك حذر الرسول صلى اللّه عليه وسلم من إتيان هؤلاء فقال: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» (السلسلة الصحيحة).

- ولكن يا عم.. هل الجن بيننا الآن؟!

- وليكونوا.. أما الشياطين المؤذون فإنهم لن يبيتوا في منزلنا لأنني ذكرت اللّه عندما دخلت.. والجن الآخرون الصالحون لا شأن لهم بنا.. فإنهم مأمورون بطاعة اللّه واتباع هدي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فهم كالذين سمعوا القرآن من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وآمنوا به.. وآخرون من الجن لم يؤمنوا واتبعوا إبليس وهم يعملون على إغواء بني آدم.. ولكن اللّه يحفظ عباده من كيدهم وإغوائهم فلا سلطان لهم على الذين آمنوا.. والمؤمن يعلم يقيناً أن الشياطين لا تستطيع إيذاءه ما دام في ذكر اللّه.. وإذا قرأ «المعوذتين» حفظه اللّه من كل شر.. فالمؤمن لا يخاف.. بل ولا يعبأ للشياطين.. لأنه في حفظ اللّه ورعايته.. وإذا أكل أو نام أو خرج إلى عمله أو رجع إلى بيته.. فهو في حفظ اللّه.. ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾ (يوسف).

العقيدة في الجن

وما المطلوب منا ـ عقيدة ـ في الجن؟

ـ المطلوب أن نؤمن بما ثبت في كتاب اللّه والسنة الصحيحة.. فمن كتاب اللّه.. أنهم خلق مكلف سيحاسب يوم القيامة.. وأن الرسول صلى اللّه عليه وسلم بعث لنا ولهم.. وأنه صلى اللّه عليه وسلم قرأ عليهم القرآن في أكثر من موضع وأنهم خلقوا قبل آدم.. وكان خلقهم من نار.. وأن منهم الصالحون والمفسدون.. وإبليس كان من الجن.. ثم فسق بمعصية أمر اللّه بالسجود لآدم.. فطرده من الجنة وأنه لا يموت إلى يوم القيامة بأمر اللّه.. وهو من المخلدين في النار وملعون.. والجن منهم العفاريت .. ومنهم المردة ومنهم من يؤذي ابن آدم الذي لا يتحصن من شرهم بالإيمان والأذكار.. وكانوا مسخرين لسليمان ـ عليه السلام ـ لا يخرجون عن أمره.. وثبت في الحديث أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم قال: «**إن عفريتاً من الجن تفلَّت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه وأردت أن أربطه إلى سارية المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان:** ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ (ص) **فرده الله خاسئاً**» (البخاري).

ـ وهل لهم أشكال معينة؟ وهل يتلبسون بني آدم؟

ـ نعم هم يتشكلون.. وأكثر ما يظهرون به (الحيات) ثم (الكلاب

السود)، ولكن ليس كل حية جني وليس كل كلب أسود جني.. بل المعظم (لا) وهناك أماكن يكثرون فيها في الصحراء والأماكن المهجورة الخربة.. ومع قدراتهم إلا أنهم إذا ذكر اللّه (خنسوا) بل وصف اللّه الشيطان بـ (الخناس).. الذي يضعف عند ذكر اللّه.. فليس له سلطان على المؤمنين.. والمؤمن يعلم يقيناً أن الشياطين لا تضره ما دام سليم المعتقد مؤدياً للواجبات ذاكراً للّه عز وجل.. بل ثبت عن النبي صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: «**الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**» (صحيح أبي داود).

فالشيطان (وهذا صنف عصاة الجن) ليس له كيد إلا الوسوسة التي تزول بذكر اللّه.. ويوم القيامة يتبرأ الشيطان من أتباعه.. سواء كانوا من الجن أو الإنس.. وللشياطين أسماء.. مثل (إبليس ـ وخنزب ـ وجليج) وغير ذلك..

كما قال اللّه تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ (إبراهيم).

الحدود

كنا قد أدينا صلاة الظهر في مجسد الجامعة.. وعادة أتجنب مسايرة أحد في طريق العودة. أشغل نفسي بمتابعة الذكر. بدلاً عن الكلام المباح وغير المباح.. رافقني هذه المرة زميل يحرص على الصلاة في المسجد ولكن لديه دائماً تساؤلات (وأسميها شبهات) حول أمور في العقيدة.. أردت أن أتحكم بموضوع النقاش فبادرته.

ـ من رحمة الله عز وجل أن ألزم المسلمين بإقامة الحدود بل وجعلها من أركان قيام المجتمع المسلم.

ـ تعني.. الجلد.. وقطع اليد.. والرجم؟

ـ كلا.. إنما أعني.. قطع يد السارق.. ورجم الزاني المحصن.. وجلد الزاني غير المحصن..

ـ وما الفرق؟!

ـ الفرق أنك تصور الحدود وكأنها.. قطع.. وجلد.. ورجم.. تريد أن تضعها في إطار وحشي.. وكأن الأمر مطلق.. ودون ضوابط.. ولو أنصفت.. وتعلمت ضوابط الحدود الشرعية لعلمت أنها رحمة للأمة.. لم أترك له المجال أن يقاطعني.

ـ مثلاً.. رجم الزاني المحصن.. هل تعلم كيف تثبت هذه الجريمة؟! بشهادة أربعة رجال ثقات عدول،.. أنهم رأوا الجريمة جهاراً نهاراً دون

أدنى شك.. وهل تعلم كم مرة ثبتت هذه الجريمة في حياة النبي صلى اللّه عليه وسلم بالشهود الأربعة؟ ولا مرة واحدة..

قاطعني..

ـ وكيف أقيم الحد على ماعز؟ وإذا لم يمكن إثبات الجريمة بهذه الطريقة لماذا شرعت؟!

ـ أقيم الحد على (ماعز) رضي اللّه عنه؛ لأنه أتى واعترف صراحة أنه زنا وطلب من الرسول صلى اللّه عليه وسلم أن (يطهره).. فسأله الرسول صلى اللّه عليه وسلم.. لعلك قبَّلت.. قال.. زنيت يا رسول اللّه فطهرني.. فأصر على الاعتراف.. وسأل الرسول صلى اللّه عليه وسلم بعد ذلك أهله.. إن كانوا قد عهدوا به جنوناً أو خبلاً.. فنفوا.. ثم سأله بعد ذلك لعلك..؟ قال: بل زنيت يا رسول اللّه فطهرني.. ولم يتراجع عن إصراره واعترافه.. ولو تراجع لما أقام عليه الرسول صلى اللّه عليه وسلم الحد» (أصله في البخاري).. ولم يسأله بمن زنيت ليقيم الحد على المرأة.. وأتاه رجل آخر فقال يا رسول اللّه أصبت حداً فأقم عليّ كتاب اللّه.. فلم يسأله الرسول صلى اللّه عليه وسلم عن الجريمة التي اقترفها.. وهو لم يبين.. وأقيمت الصلاة.. ثم أتى هذا الرجل الرسول صلى اللّه عليه وسلم فقال: أصبت حداً يا رسول اللّه فطهرني.. قال له الرسول صلى اللّه عليه وسلم: هل صليت معنا.. قال: نعم.. قال: فقد غفر اللّه لك» (متفق عليه).. ولم يفتح معه (تحقيقاً).. حول الحد الذي أصابه.. فالأمور ليست كما يصورها أعداء الدين أن المسلمين يتمتعون

بجلد الظهور وقطع الأيادي ورجم الأبدان.. هناك ضوابط.. قبل الحد.. ومع الحد.. وبعد إقامة الحد.

استغرب صاحبي حماسي وانفعالي..

- يجب على ولي أمر المسلمين أن يقيم مجتمعاً تنتفي فيه أسباب الجريمة.. من إحصان الشباب.. وصيانة الأموال.. ومنع الخمور.. ومنع استقدام النساء العازبات.. وتوفير العمل.. وتوزيع الزكاة.. ثم يتأنى في طريقة إثبات الحد.. ثم يقيم الحد كما أمر اللّه.. وليس له أن يعطل حدود اللّه.

- وماذا لو أن أهل القتيل تنازلوا عن حقهم.. بالعفو أو الدية هل يقيم على القاتل الحد؟

- القاتل يقتل قصاصاً لا حداً.. وهنا الفرق بين القصاص والحدود القصاص حق لأهل المجني عليه لهم أن يتنازلوا عنه أما الحدود فهي حق اللّه.. ليس لأحد أن يتنازل عنه.. مثلاً.. إذا سرق أحدهم وثبتت عليه جريمة السرقة بالأدلة القاطعة.. أو الاعتراف.. كما حصل مع المرأة المخزومية.. ثم قال السارق أُرجعُ ما سرقت.. واعف عني.. فإنه لن يشفع له ذلك.. بل يرجع ما سرق.. لأنه حق الناس.. وتقطع يده.. لأنه حق اللّه.. فالحدود لا تعطل.. إذا ثبتت بالطريقة الشرعية.. كما في الحديث: «**حد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحاً**» (السلسلة الصحيحة).. لما في إقامة حدود اللّه من خير للمجتمع والأمة.

تصنيف الذنوب

من وسائل الشيطان في إغواء ابن آدم أن يهوّن عليه الوقوع في الذنوب حتى يستديمها، وربما يستحلها؛ فيوسوس له: هذه صغيرة، وهذه لا ضرر فيها على أحد، وهذه لم تظلم فيها أحداً، وهذه يغفرها اللّه بالوضوء، وهذه يكفرها اللّه بالصلاة.. وهكذا يستمر في إغواء ابن آدم حتى إنه ليذكره بالآيات والأحاديث التي تؤيد وسوسته، كحديث الوضوء، وحديث الخطوات إلى المساجد، وحديث: «**اللهم اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**» (السلسلة الصحيحة).

استدرك قائلاً:

ـ ولكن هذه الأمور صحيحة وحقيقية؛ فمكفرات الذنوب كثيرة جداً، إذا إلتزم بها المؤمن لم تبق عليه خطيئة.

ـ نعم.. هذا قول صحيح، ولكن لا ينبغي أن تكون «المكفرات» سبباً و«دافعاً» لارتكاب المعاصي، مثلاً سمعت إحداهن تقول: لا يهم ما يقع بيني وبين «صاحبي» ما دام لم يبلغ الزنى!! وتضيف: صلاتي وحجابي يكفران سيئاتي.. هذا المنطق المسوغ للمعاصي من وسوسة الشيطان.

كنا في مجلس العائلة مساء الخميس ننتظر وصول العشاء.

ـ وما هو المنطق الصحيح في هذه القضية؟

ـ المنطق الصحيح أن يتجنب المؤمن المعصية بتجنب أسبابها؛ ولذلك

أمر اللّه الجميع «بغض البصر» رجالاً ونساء.. وأمر النساء ألا يبدين زينتهن ولا يخضعن بالقول ولا يضربن بأرجلهن لإظهار ما يخفين من الزينة، وحرم الخلوة، كل هذه الأمور يجب أن يحرص عليها المؤمن والمؤمنة؛ فإن كل واحد منها ذنب؛ فإذا حرص المؤمن على ذلك لم يقع في هذا الذنب، ولكن إن أغواه الشيطان فوقع؛ يجب عليه أن يتوب ويستغفر.. ولا يقول: أقع في الذنب ثم أستغفر، كلا؛ فهذا استغفاره استهزاء بالدين، يسوغ لنفسه المعصية، وهذا منطق أشد منكراً من الذنب نفسه، ولكن إن وقع دون تخطيط وتدبير مسبق، لم يقنط من رحمة اللّه واستغفر وتاب، وأكثَرَ من الصالحات ليمحو السيئات.

ـ ولماذا صُنفت الذنوب إلى صغائر وكبائر؟

ـ كي يستعين ابن آدم ويتقوى على طاعة اللّه حتى إذا أغواه الشيطان ووقع في الذنب؛ فالصغائر تقع ويكفرها الوضوء والصلاة والذكر وغير ذلك، ولكن لا يخطط لها، ويقول: أستغفر فيما بعد؛ لأن الصغائر تكبر حتى يدمنها الإنسان، ولا تغتفر الصغيرة مع الدوام والإصرار، والكبيرة إن وقعت وجبت التوبة منها، كل هذا ليتقوى الإنسان على طاعة اللّه، لا أن يستسهل معصية اللّه.

النذر لا يأتي بخير

ـ هل تستغرب إن قلت لك كان الأولى ألا تنذر؟

ـ ولم لا أنذر؟!

ـ لأن النذر لا يأتي بشيء، لا تستغرب هذا، ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن النذر لا يأتي ابن آدم بشيء إلا ما قدر له، ولكن يغلبه القدر ما قدر له فيستخرج به من البخيل فييسر عليه ما لم يكن ييسر عليه من قبل ذلك، وقد قال الله: أنفق أنفق عليك**» (البخاري ـ مسلم ـ ابن ماجه)، وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه: أو لم ينهوا عن النذر إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخر وإنما يستخرج بالنذر من البخيل**». وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم: «**لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل**».

كان صاحبي يستمع منصتاً مندهشاً كما الطالب المنبهر.

ـ ما بك يا أبا عبد الله؟

ـ لا شيء، ولكن صدمتني بهذه الأحاديث، لم أسمعها من قبل، وكلها صحيحة في البخاري ومسلم فالنذر مكروه؟

ـ هكذا قال كثير من العلماء.

ـ هل تصدق؟! كنت والله أظن أن النذر مستحب، وهو من سمات

المؤمنين الصادقين، من قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ (الإنسان).

ـ هناك أنواع للنذر، أشهرها نذر الاشتراط، وهذا الذي أخبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم: «**أنه لا يأتي بخير ولكن يستخرج من البخيل**» هذا الذي اشترط على اللّه، ألا يفعل الخير إلا إذا نال مراده هذا «بخيل» بشهادة اللّه عز وجل، فإن ما وقع بعد النذر كان سيقع بدون النذر، ولكن النذر جعله يعمل ما اشترط، ولا أظن أن أحداً يحب أن يوصف «بالبخل».

ـ سبحان اللّه، واللّه إنها من الموروثات السيئة، فماذا يفعل الإنسان إذا أراد حاجة ماسة وضرورة ملحة من اللّه؟!

ـ يدعو اللّه، ويقدم الأسباب، وكفى، ويستمر بالدعاء وهو موقن بالإجابة، ويستغفر ويتوب ويخرج من ذنوبه، ويدعو ويدعو حتى يأتي أمر اللّه، فإن أراد أن يشكر اللّه بعد أن نال مراده يسجد شكراً، ولكن لا يحتفل على ما ناله من اللّه بمعصية اللّه، هكذا ينبغي أن يتخلق المؤمن مع ربه.. وهل تعلم أن الإمام مسلم بوب لهذا الباب: «باب النهي عن النذر».

ـ النهي عن النذر؟

ـ نعم.. النهي عن النذر؛ بمعنى أن النذر منهي عنه بأمر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

ـ وماذا أفعل وقد نذرت؟

ـ عليك أن تفي بنذرك إذا تحقق ما اشترطت عليه.

ـ وإن لم أستطع، وعجزت عن الوفاء؟

ـ عليك إذاً بكفارة يمين.

ـ كفارة اليمين المعتادة: عتق رقبة، أو إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، فإن عجزت صيام ثلاثة أيام؟!

ـ نعم، بهذا الترتيب.

ـ والله ما كنت أعلم كل هذا.

قلوب (١)

ـ أتمتع كثيراً بقراءة كتب (ابن القيم)، ذلك أنه يتناول قضايا الإيمان من باب التعامل مع اللّه. بالإخلاص. والصدق. والتوبة. والإنابة مثلاً كتاب (مدارج السالكين).. تجده يتحدث عن قضايا لابد أنك تجد شيئاً منها ينطبق عليك..

ـ لا شك أن شأن (القلب) عظيم.. يكفي قوله صلى اللّه عليه وسلم: «**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم وثيابكم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» (متفق عليه) وقوله صلى اللّه عليه وسلم عن القلب: «**مضغة إذا صلحت صلح سائر العمل وإذا فسدت فسد سائر العمل**» (متفق عليه)..

قررت وصاحبي أن نجتمع مرتين في الأسبوع نراجع ما حفظنا من القرآن بين المغرب والعشاء، وذلك أن مشاغله أنسته كثيراً مما يحفظ.. تابعت حديثي..

ـ هل تعلم كم نوعا من القلوب ذكرها اللّه تعالى في كتابه؟

ـ لا أدري..

ـ خمّن..

أخذ صاحبي يعدد أنواع القلوب على أصابعه..

ـ سبعة؟

ـ كلا.. بل ثمانية وعشرين نوعاً.

ـ ثمان وعشرون حالة للقلب؟!

ـ نعم.. دعني أذكر شيئاً منها. قلب غليظ. وقلب غافل. وقلب أغلف. وقلب منكر. وفي المقابل، قلب سليم. قلب منيب. قلب وجل. قلب خاشع.

ـ ربما يمكن جمع عدة أنواع في مجموعة واحدة..

ـ ربما.. ولكن لم تختلف المسميات إلا لاختلاف الأحوال.. فالقلب الخاشع.. يختلف عن القلب الوجل..

ـ زدنا من هذا الكلام الجميل..

ـ ذكر الله في كتابه واصفاً المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ (الأنفال). وفي سورة الحج وصف المخبتين فقال عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الحج).

وذكر الله تبارك وتعالى حال عباده المؤمنين وهم يعملون الصالحات.. ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (المؤمنون).

أما في سورة الحديد فدعا المؤمنين إلى أن تخشع قلوبهم فقال عز وجل: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الحديد).

وفي اللغة (خشع): خضع. ذلّ. خفض صوته. رمى بصره إلى الأرض.. استكان.. كقوله عز وجل: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (طه)..والخاشع الراكع.. (فالقلب الخاشع) هو الذي يخضع لأوامر الله ويقبلها خضوعاً لله عز وجل.. واستسلاماً لأمره.. و(الوجِل).. هو (الخائف الذي يخضع لأوامر الله ويقبلها خضوعاً لله عز وجل.. واستسلاماً لأمره.. و(الوَجَل).. هو (الخوف والفزع).. فهو مرحلة تالية للخضوع.. فإن المؤمنين خشعت قلوبهم لله.. فقبلوا أوامره.. ولم يتكبروا على شيء مما يريده الله منهم.. وهم عندما إلتزموا الطاعات وأتوا القربات أتوها.. راجين أن يتقبلها الله منهم.. فإن قلوبهم (فزعة) من الوقوف بين يدي الله فلا يجدوا أجر طاعاتهم لأمر وقع منهم.. و(الوجل) لم يذكر إلا للقلب.. أما الخشوع.. فتوصف به الأصوات.. والأرض والأبدان.. فكل قلب (وجل). (خاشع). وليس كل قلب (خاشع). (وجل)..

قلوب (٢)

تابع صاحبي حديثه عن القلوب..

- وماذا عن القلب (المنيب)؟

- أرى أن نراجع حفظنا من كتاب الله ثم نتحدث عن القلوب..

- بصراحة... لنؤجل مراجعة الحفظ إلى المرة القادمة فإنني لم أراجع المطلوب مني هذه المرة..

- القلوب هي محل التقوى.. كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: «**التقوى هاهنا التقوى هاهنا.. التقوى هاهنا..**» (الترمذي صححه الألباني) وأشار إلى قلبه والقلب المنيب ذكره الله تعالى في سورة ق.. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾، ومدح الله بعض عباده بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ (سبأ)، ووصف خليله إبراهيم عليه السلا بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾.

- لنحدد حديثنا عن (القلب المنيب) فقط..

لاحظت أن صاحبي حريص على متابعة الموضوع - ربما ليعوض تقصيره في مراجعة ما حفظ من القرآن..

- لغة.. (ناب) الشيء.. قرب.. (ناب إلى).. أي رجع إلى.. (وناب إلى الله).. تاب ولزم طاعته.. مثله (أناب).. كقوله عز وجل.. ﴿فَاسْتَغْفَرَ

رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ (ص) والمنيب.. المطر الكثير.. وهو أيضاً.. صفة من يكثر الرجوع إلى الله فهو (منيب).

وقد ذكر ابن القيم الإنابة فقال: «فإذا استقرت قدمه في منزل التوبة نزل بعده منزل الإنابة وقد أمر الله تعالى بها فقال: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ ﴾ (الزمر).. والإنابة إنابتان: (إنابة الربوبية).. وهي إنابة جميع المخلوقات ويشترك فيها المؤمن والكافر.. (إنابة الإلهية).. إنابة عبودية ومحبة.. و(المنيب) هو المسرع إلى مرضاة الله الراجع إليه المتقدم إلى محابه.. وأصل (الإنابة).. في القلب.. وتظهر على الجوارح.

قاطعني صاحبي..

- جميل أن تستشهد بكلام ابن القيم.. ولكن أذكر كلامه بالمعنى بلغة أفهمها لا بلغته التي تحتاج إلى شرح لفهم اللغة.. فضلاً عن فهم المعنى.. ابتسمت من تعليقه وتابعت حديثي.

- من علامات (القلب المنيب).. رجاء الرحمة للآخرين وخشية النقمة على النفس ولا يمكن أن تكمل الإنابة في القلب إلا بثلاثة أمور.

١ - الخروج عن الذنوب بالتوبة.

٢ - توجع القلب من العثرات وخوفه وتألمه من المعاصي.

٣ - استدراك ما فات من الطاعات.

فالذي لا يحقق هذه الأركان لا ينال كمال الإنابة.

ـ الذي فهمته إلى الآن.. الإنابة منزلة أعلى من التوبة.. فكل (منيب) (تائب) سلفاً.. وليس كل (تائب).. منيب..

ـ نعم هو كذلك.. وذكر الله أن أصل الإنابة في (القلب).. فإذا كان القلب (منيباً).. تحققت أركان الإنابة التي ذكرناها.. وإذا لم يكن القلب منيباً.. تحققت بعض الإنابة ولم ينل كمال الأجر على الإنابة..

ـ ولكن المطلوب من الجميع أن يكونوا منيبين إلى الله؟

ـ نعم.. هكذا ينبغي أن يكون حال هذه الأمة كما وصفهم الله عز وجل ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (الروم).. (منيبين) منصوب على الحال من الضمير في قوله (فأقم وجهك).. لأن هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته من بعده صلى الله عليه وسلم.. أي أقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه.. أي راجعين.. دائماً.. إلى الله عز وجل مستشعرين تقصيركم.. راغبين في عفوه.. راجين فضله عز وجل.. من قلوبكم أولاً.. وبأعمالكم ثانياً..

قلوب (٣)

«إن القلب للأعضاء كالملك للجنود يأمرها فتأتمر..».

- ومن القلوب ما هو (أغلف).. ومنها ما هو (أغفل)؟!

لم يخف صاحبي استغرابه..

- هلا حدثنا بما نفهم.. ما (أغلف) و(أغفل)؟

- ذكر الله تعالى في كتابه ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ (الكهف).. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (البقرة).. وقال عز وجل: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ (النساء).. وفي اللغة (غفل) عن الشيء: سها عنه من قلة التحفظ وتركه: هملاً من غير نسيان.. ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ (الأنبياء).. فالقلب (الغافل).. هو الذي يهمل الحق.. في معظم الأحيان لأنه (لاه).. بأمر آخر.. بالدنيا العاجلة.. مثلاً..

أما القلب (الأغلف).. فهو الذي عليه غلاف.. فلا يعي الرشد ومؤنثه

(غلفاء).. وهذا القلب (يغفل) بالشهوات والشبهات فلا يقبل الحق ولا يتبع الهدي..

ـ هذه الآيات في أن القلوب (غلف) قالها اليهود.. أليس كذلك؟

ـ بلى.. في سورة البقرة قال عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (البقرة).

وهنا يريدون أن يقولوا.. نحن لا نفهم ما تقول.. وفي الواقع هم في مرحلة أسوأ من هذه بكثير كما قال تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (البقرة).. فالمسألة ليست أنهم لا يفهمون ولا يعرفون ما يُدعون إليه.. بل قلوبهم امتلأت كفراً وإنكاراً للحق ورفضاً للهدي وذلك لاستكبارهم وعنادهم مع جميع أنبياء الله عز وجل..

استوضح صاحبي..

ـ أي أنهم أرادوا أن يقدموا عذراً (بريئاً).. بأنهم لا يعون ولا يفهمون المراد منهم.. ظنوا أن هذا عذر مقبول؟

ـ نعم.. هم أرادوا ذلك ولكن الله بيّن أن (لعنة الله) حلت عليهم بسبب كفرهم وليست القضية (عدم فهم)..

ـ وماذا عن القلب الغافل؟

ـ الغفلة من الأمراض التي ينبغي للمؤمن أن يتحرز منها.. وذلك

أن كثيراً من الناس يعرف الحق.. بل يحب الهدي.. وربما يناقش نظرياً عن الدين.. ولكنه لا يعمل به.. وإذا جلست إليه لا يتكبر عن الحق.. ولا يعاند.. ولكن في تلك اللحظة فحسب.. مجرد أن تمضي يلتهي بكل شيء عن الدين.. يلتهي بالعمل.. بالمال.. بالمنصب.. بزينة الحياة الدنيا.. بالشهوات.. بالجد.. باللعب.. يحب أهل الصلاة.. ولا يصلي.. يعرف ركنية الزكاة.. ولا يزكي.. يعرف الخير.. ولا يتبعه.. فأغلب (الغفلة) من الشهوات.. ولذلك يدعو المؤمن ربه في كل ركعة من كل صلاة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾.. معرفة الصراط.. وقبوله.. والعمل بمقتضاه واتباعه.. والمرء يحتاج أن يذكر نفسه بالآخرة.. حتى لا يكون من الغافلين.. فذكر الله يحفظ من الغفلة.. والصلاة تحفظ من الغفلة.. والاعتبار بالآخرين.. وبآيات الله.. يحفظ من الغفلة.. فالخاسر من يكون في غفلة عن الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ (ق).. نسأل الله السلامة من الغفلة..

قلوب (٤)

«**إن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء..**» (الترمذي والنسائي وابن ماجه وحسنه الألباني).

أخذ كل منا مقعده في الطائرة المتجهة إلى جدة لأداء العمرة.. وعادة لا نبدأ نقاشنا إلا بعد أن تستقر الطائرة في السماء.

ـ ما الحكمة في الوقوف اللازم عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ (المطففين).

ـ حاول أن تقرأها دون وقف.

ـ قرأها.. فأدغم اللام بالراء.. فصارت (برّان)..

ـ فعلاً لقد اختلف المعنى.. وماذا جاء في (الران)..

ـ لغة.. (ران) الثوب ريناً.. تطبع وتدنس.. ورانت النفس خبثت وران الشيء فلاناً وعليه وبه رينا وريوناً غلبه وغطاه.. يقال.. ران عليه الخمر وران عليه النعاس وران على قلبه الذنب.. قسا قلبه لاقتراف الذنب بعد الذنب.. و(الرّان) الصدأ يعلو الشيء الجليّ كالسيف والمرآة ونحوهما.. وثبت في الحديث أن (الران) يبدأ بالذنب.. نقطة صغيرة على القلب الجلي.. كنقطة سوداء على صفحة بيضاء أو مرآة.. فإذا تاب العبد زالت.. وإن لم يتب وأذنب ذنباً آخر نكتت نقطة ثانية.. فإن تاب زالت.. وهكذا حتى يصير القلب أسود ملبدا.. لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً..

ونهاية الأمر أن يطبع على قلبه (أصله في صحيح الترغيب والترهيب).

ـ هل تعني أن الصغائر قد تؤدي إلى الران؟!

ـ الصغائر.. إذا استهان بها الإنسان.. وعملها عمداً بحجة أنها صغائر فإنها تصير كبائر كما قيل.. (لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) أي التوبة.. فلا ينبغي أن يستهين المرء بالصغائر ويأتيها.. ويقول هي (اللمم) الذي يغفره الله بالوضوء والتسبيح والصلاة والخطا إلى المساجد.. وغير ذلك من الأعمال الصالحة.. نعم تغفر إن لم تقع عمداً.. ولم تكن بإصرار.. وإلا فإنها تقع في القلب.. و(الرين) أغلظه.. ولا يزول إلا بالتوبة.. وقال عبدالله بن مسعود.. «كلما أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله» بدأ المضيفون بتقديم المرطبات..

ـ وماذا عن (الطبع)؟!

ـ الطبع على القلب أشد من (الرين) وهو صفة للكفار أكثر منه صفة لعامة العصاة.. كما قال تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ (النساء).. وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ (الأعراف).. ومن أشد الكفر النفاق ولذلك وصفهم الله عز وجل فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ (المنافقون).. ومن طبع على قلبه قل ما يرجع ويتوب.. بل تراه يشتد في عداوته للدين وأهله.. بل ربما قاتلهم كرهاً وسخطاً للدين وأهله.. نسأل الله العافية.

ـ هذا الذي تمادى حتى الطبع.. لا شك أنه لم يرد الحق في أي مرحلة من مراحل حياته..

ـ وهذا الذي يخشاه المرء على من يتمادى في المعصية.. تتمكن من قلبه حتى تجعله يكره الحق.. ويكره الفضيلة.. كما قال قوط لوط: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾ (النمل).. فأصبحت الطهارة والعفة سبباً للعداوة والطرد.. وهذا هو (الطبع) على القلب..

قلوب (٥)

«**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**» مسلم.

ـ وما أسوأ أنواع القلوب؟

ـ أظنه القلب الذي ختم عليه.. والختم لا يكون على القلب فحسب بل قرنه اللّه بالأفواه.. والأسماع.. وفي اللغة (ختم) النحل ختماً.. ملأ الخلية عسلاً.. وختم على الطعام.. غطىّ فوهة طعامه بطين أو شمع أو غيرهما حتى لا يدخله شيء ولا يخرج منه شيء فهو مختوم.. و(ختم) على قلبه.. جعله لا يفهم شيئاً.. فلا يدخله شيء.. ولا يخرج منه شيء.. ويقال (ختم) على الشيء.. و(ختم) الشيء.. بلغ آخره.. كما يقال ختم القرآن.. و(الخاتم) من كل شيء آخره.. كما قال عز وجل: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).. و(الخاتمة).. العاقبة والآخرة..

ـ ولماذا يكون هذا القلب هو الأسوأ؟

ـ لأنه ختم عليه.. فكأنه (وسم).. ووضع عليه (نقش).. بأنه لا يخرج منه شيء ينفع.. ولا يدخله شيء ينفع.. ولأن (الختم).. نهاية الأمر.. فهذا القلب.. بلغ هذه العاقبة بما كان عليه من قبل..

ـ كنت وصاحبي في نزهة برية نبحث عن مكان جديد لإبله.. بعد أن طلبت منه جهات عسكرية أن يبتعد عن القاعدة الجوية في غرب البلاد.

ـ والقلب الذي عليه قفل؟!

ـ لقد ذكرتني بحديث النبي صلى اللّه عليه وسلم.. «**أنه إذا نام ابن آدم**

عقد الشيطان على قافية الرأس ثلاث عقد.. فإذا استيقظ حلت عقدة.. فإذا توضأ.. حلت الثانية.. فإذا صلى حلت الثالثة.. وأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان». متفق عليه.

- والقفل على القلب يمكن فتحه.. وذكره الله عز وجل في كتابه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد).. فكأن للقلوب أقفال وهذه القلوب أوصدت بالقفل.. وفي الآية دعوة إلى فتح هذه الأقفال.. وتدبر القرآن والسماح لآياته أن تدخل القلب.. لينتفع بها.. وقيل إن المعنى لتأكيد حال هؤلاء فـ (أَمْ) هنا بمعنى (بل)... فقلوب هؤلاء علتها الأقفال فلا يدخلها الإيمان ولا يخرج منها الكفر.. فتكون هذه القلوب كالتي (ختم) عليها.. وكالتي (طبع).. عليها.. وكل هذه الأحوال نتيجة كفرهم وإعراضهم وتوليهم عن طاعة الله..

نبّهني صاحبي إلى ضرورة الانتقال من الطريق المعبد إلى الطريق الصحراوي لنقطع مسافة بالبر.

- إن أحدنا ينبغي أن يتعاهد قلبه.. إيماناً.. أكثر مما يتعاهده عضوياً.. فلئن كنا نحرص على الرياضة التي تناسب أعمارنا.. وننتبه إلى ما نأكل.. ونشرب.. ونتجنب ما يضر القلب.. فمن باب أولى أن نتعاهده بالإيمان.. والطاعات.. والاتعاظ.. والقرآن.. والتذكرة.. وذكر الله.. ومن ثم لا ننسى التوجه إلى الله أن يحفظ قلوبنا.. كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. في الدعاء.. «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك**» (السلسلة الصحيحة).. وإلا فمن اغتر بعمله.. انقلب قلبه.

قلوب (٦)

«**أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**» أصله في البخاري.

ـ وهل هناك فرق بين الإسلام والإيمان؟

ـ الإسلام والإيمان من الكلمات التي إذا اجتمعت اختلفت في المعنى وإذا تفرقت اجتمعت في المعنى، والفرق في آيات الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ (الحجرات) ففي هذه الآيات تأديب لأناس أول ما دخلوا الإسلام ادعوا مرتبة الإيمان ولما يتمكن الإيمان من قلوبهم، فبيّن الله لهم أنهم مازالوا في بداية الطريق، ولكي يتمكن الإيمان من القلوب عليهم بطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولن ينقصهم الله شيئاً من أعمالهم، وكذلك حديث جبريل عندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان. (متفق عليه).

دعاني صاحبي للغداء في أحد المطاعم، حاولت التفلّت من هذه الدعوة خاصة أن وجبة الغداء نادراً جداً ما أتناولها خارج المنزل لما يتبعها من لزوم الراحة والاسترخاء ولو لدقائق، ولكن لم تنجح كل محاولاتي، ولكي يراعيني أخذني إلى مطعم يقدم الغداء في كابينات شبه مغلقة، لم أدخلها من قبل.. حيث يمكنني أن أخلع الغترة والعقال!!!

ـ وهل من الخطأ أن يصف أحدنا نفسه بالإيمان؟

ـ كلا، ولكن ليس من باب التزكية، والإيمان درجات، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، ومكان الإيمان القلب، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧﴾ (الحجرات).

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ (المجادلة: ٢٢)، وهذا الإيمان في القلب هو الذي يميز المؤمنين عن بعضهم ويرفع بعضهم على بعض، فإن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسبقونا بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في قلوبهم.

طرق الباب النادل ليقدم لنا الغداء، أعجبتني فكرة الكابينة واستغربت لِـمَ لم تخطر على بالي من قبل..

ـ وماذا ينفع الإيمان الذي في القلب إذا قصر الإنسان في الطاعات ووقع في المعاصي؟

ـ لا شك أن الإيمان الذي في القلب ينفع، وإن قصر المرء في الطاعات ووقع في المعاصي.. نعم، لا ينبغي أن يستهين أحد بطاعة أو يستسهل المعصية، ولكن طالما لم يشرك بالله، وطالما لم ينقض شهادة (ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله)، وطالماً لم يهدم التوحيد فإن مآله إلى الجنة بإذن الله وذلك في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ (النساء)، وفي حديث أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من مات لا يشرك بالله دخل**

الجنة، قال أبو ذر: وإن سرق وإن زنا، قال: وإن سرق وإن زنا، وفي الثالثة قال: رغم أنف أبي ذر» (صحيح مسلم)، مع ملاحظة عدم استحلال الذنب وعدم الاستهانة بالطاعة، وفي الحديث أن المؤمنين يشفعون لإخوان لهم دخلوا النار بذنوبهم فيقول الله تعالى: «**اذهبوا فأخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، اذهبوا فأخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان،اذهبوا فأخرجوا من النار من كان في قلبه مثال ذرة من إيمان**» (الشيخان) وفي من لا يستطيع أن ينكر المنكر قال صلى الله عليه وسلم: «**فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك مثقال ذرة من إيمان**» (مسلم).

قلوب (٧)

«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مقال ذرة من كبر**» (صحيح مسلم).

ـ وهل الكبر أسوأ ما يصيب القلب؟

ـ كلا.. أسوأ ما يصيب القلب هو الشرك.. ولكن الكبر سبب للوقوع في الكفر والشرك.. وهو أول ذنب عُصي به الله.. عندما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم وكان معهم إبليس ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (البقرة).

ـ وكيف السبيل أن يفحص أحدنا قلبه عن الكبر؟

ـ أولاً: نعرف الكبر.. كما عرّفه الرسول صلى الله عليه وسلم «**بطر الحق وغمط الناس**» (مسلم)، ولذلك هناك كبر بين المرء وبين الحق، وكبر بين المرء وبين الناس، والأول أشد من الثاني، وكلاهما سيء، ثم نوطن أنفسنا على قبول الحق والإذعان له بغض النظر عن مصدره، ونجتهد على اتباعه؛ فالتوفيق لاتباع الحق هو الهداية التي نسألها في كل ركعة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ (الفاتحة).

كنت وصاحبي في لقائنا الأخير قبل سفر كل منا مع أهله لإجازة الصيف التي ستبعدنا شهراً كاملاً، قررت الذهاب إلى شرق آسيا، وقرر هو الذهاب إلى أفريقيا لزيارة الأدغال!!

تابعت حديثي..

ـ وأسوأ خلق الله وصفهم الله بالكبر، فجميع الكفار على مر الزمان استكبروا) عن الحق ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ (فصلت: ١٥).. ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (الأعراف).. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (الأعراف)، وكان من أسباب كفر قريش أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ (الزخرف).. فالكبر والعياذ بالله يمنع الإنسان من اتباع الحق.. وإن كان يعرفه.. ويدري أنه الحق..

ـ وفي الحديث.. «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» (مسلم).

ـ إن كان الكبر أدى إلى شيء من الشرك.. فهو خالد في جهنم ولا يدخل الجنة مطلقاً.. حتى ينال جزاءه..

أدركنا المكان الذي نريد ـ المستشفى لزيارة أحد رواد مسجدنا أصابه إلتهاب في عينه مما أدخله المستشفى قبل يومين..

ـ وأكثر أهل النار.. من هؤلاء (**عتل جواظ متكبر**) (متفق عليه).

قاطعني.. بعد طول سكوت:

ـ ولكن بعض الناس يولد في بيئة تدعوه للاستكبار على الناس.. فيكون ابن عائلة عريقة.. غنية ثرية.. ولد وفي (فمه ملعقه من ذهب)

كما يقولون.. كيف يستطيع هذا أن يتعامل مع العامل الذي يكنس الشارع على قدم المساواة.. بأنه رجل مسلم.. مصلّ يجب مراعاة حاله.. ورد السلام عليه.. والصلاة بجانبه في المسجد.. وربما وراءه إذا سبق إلى الصف الأول..

- وهنا الفرق.. بين من تمكن الإيمان من قلبه.. وأراد رضا اللّه.. ألم يقل الرسول صلى اللّه عليه وسلم لأبي ذر: «**إنك امرؤ فيك جاهلية**» (متفق عليه) عندما عيّر بلالا بلونه وأمه.. وهذه إحدى غايات الإسلام.. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات).. «**وكلكم لآدم وآدم من تراب**» (السلسلة الصحيحة). فمن لم يستطع ذلك فلا شك أن في إيمانه خدش.

قلوب (٨)

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ (الرعد).

إلتقيته صدفة بعد صلاة الجمعة في المسجد الجامع في كوالالامبور... بعد السؤال والحديث عن أحداث السفر ومكان السكن.. اكتشفنا أننا نسكن في ذات الشارع (شارع العرب) هو في أوله.. وأنا في آخره.. ترافقنا في السير إلى منازلنا..

- هل فهمت شيئاً من الخطبة؟!

نظرت إليه.. منكراً نافياً بابتسامة..

- وهل فهمت أنت شيئاً عدا (خطبة الحاجة) إن الحمد لله نحمده.؟!

- المصيبة أنني جلست أقاوم النعاس.. فالذي على يميني خفض رأسه وغط من بداية الخطبة.. وكذلك الذي عن يساري.. والذي أمامي ألقى رأسه جهة اليمين ولم يرفعها.. ولم أنظر لمن ورائي مع يقيني أنه في غفوة..

- النوم في الصلاة من الشيطان.. وفي ميدان المعركة من الله.. اسمع إلى قول الله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (الأنفال: ١١)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ﴾ (آل عمران: ١٥٤).

قال أبو طلحة: كنت ممن أصابه النعاس يوم أحد ولقد سقط السيف من يدي مراراً.. يسقط وآخذه.. قال سفيان الثوري: النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان.

- وهل قلوب المؤمنين مطمئنة دائماً؟

- (الطمأنينة) درجات.. أعظم أسبابها تحقيق التوحيد.. والخروج من الشرك.. وتزداد الطمأنينة في القلب بالقرب من الله.. ولنتدبر قوله الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد).

في بدايتها وصفٌ للمؤمنين.. كلما ازداد الإيمان ازدادت الطمأنينة في القلب، وكان ذكر الله سبباً في ذلك. ثم ذكر الله حقيقة ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ (الرعد).. أي ينبغي على كل قلب أن يطمئن بذكر الله.. فالقلب الذي لا تنزل به الطمأنينة بذكر الله فيه خلل.. فمثلاً ذكر الله حال ذلك الإنسان الذي يعبد الله على حرف ﴿فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ (الحج).. وذكر الله أقواماً يطمئنون إلى الدنيا ويركنون إليها.. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾ (يونس).. وذكر الله تعالى أن الطمأنينة درجة أعلى من مجرد الإيمان.. ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ (البقرة: ٢٦٠).. والاطمئنان هنا.. رؤية ما آمن به يتحقق أمام عينيه.. وإذا كان القلب (مطمئناً بالإيمان) فإنه لا يقع بالذنب.. ولا يصيبه الهلع.. ولا ينقلب بالفتنة.. ولا يركن إلى المعصية..

اقترح علي صاحبي أن نستقل سيارة أجرة.. اختصاراً للوقت.

بالفعل.. ما كدنا نتوقف عن السير إلا ومركبة تقف لتقلنا..

تابعت حديثي بعد أن استوينا في المركبة..

- طمأنينة القلب بالإيمان مرتبة ينبغي أن يسعى إليها المؤمن.. بالإيمان والعمل الصالح والدعاء والذكر.. وأفضل الذكر - كلام الله - فمتى بلغ هذه المرتبة ينبغي أن يحافظ عليها ويداوم على أسبابها.. فمن اطمأن قلبه.. اطمأنت نفسه.. ونال قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر).

- وماذا عن أهل المائدة عندما طلبوا من عيسى عليه السلام.. ذلك؟!

- نعم.. ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ (المائدة).. وإنما سألوا ذلك لحاجتهم وفقرهم.. فلما رد عليهم ﴿قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (المائدة) أجابوا بحاجتهم إلى الأكل.. وأنهم إن رأوها تطمئن قلوبهم ويزدادوا إيماناً إلى إيمانهم ويكونوا أقوى في شهادتهم على نبوة عيسى - عليه السلام.

- دعا صاحبي بتلقائية.

- اللهم ارزقنا طمأنينة دائمة في قلوبنا.. واجعلها قلوباً مطمئنة..

قلوب (٩)

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (الحج).

صاحبي شديد الإعجاب باللغة العربية.. كثيراً ما يستخدم الفصحى في حديثه اليومي.. حتى تميز بهذه الخاصية في مسجدنا..

- هل تعرف ضد صفة (أعمى)؟!

- (مبصر).. أو (بصير)..

هكذا بدأ حديثه..

- فإذا كان (العمى) يصيب القلب فأين يكون محل (البصيرة).. أو (الإبصار).. القلب أيضاً.. أليس كذلك؟!

- بلى..

سألته:

- وما صيغة الجمع من كلمة (أعمى)؟!

- (عمون) ووردت في القرآن أكثر من مرة كقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (الأعراف).

تابعت حديثي..

ـ هذه الآيات في (العمى) من باب إعادة تعريف (المفاهيم) أو توضيح المعنى الأولى.. مثلاً (المفلس) أعاد تعريفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الأولى بهذا الوصف من يأتي يوم القيامة وقد نفدت حسناته.. وكذلك (الشديد).. الأولى بهذا الوصف (**من يمسك نفسه عند الغضب**) (متفق عليه).. و(الأعمى) هو الذي فقد بصيرة القلب.. ولذلك يجازى يوم القيامة بالعمى الحقيقي.. وذلك من باب (الجزاء من جنس العمل).. ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ (طه). وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ (الإسراء)، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ (الإسراء).

ـ وكيف يصيب (العمى).. القلب؟

ـ اقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ (فصلت: ١٧).

والمعنى أن الله أرسل إليهم رسولهم صالح.. وأراهم الآيات والبينات.. وأعظمها أن أخرج لهم الناقة من الصخر.. وبين لهم رسولهم مراد الله.. فأبوا إلا أن يردوا هذا البيان ويعرضوا عن الحق.. بل وتحدوا أمر الله بأن عقروا الناقة.. فوقع (العمى).. في قلوبهم.. رغم أنهم رأوا الآية تتجسد أمام أعينهم.. ناقة تخرج من صخور الجبال.. ولكن (العمى) الذي أصاب قلوبهم منعهم من الاتعاظ بهذه الآية البينة الواضحة لكل

مبصر.. وهذا يجعل عمى البصيرة أعظم من عمى البصر.. ومن عمي قلبه لم ير الحق ببصره.. وأما من عمي بصره ـ فقط ـ فإنه يرى الحق ببصيرة قلبه.

ـ وهل الذي يكون أعمى في الدنيا يبعث مبصراً يوم القيامة؟

ـ نعم.. إن كان أعمى البصر.. ذا بصيرة.. فإنه يبعث دون عيب خلقي والجميع يبعث كامل الخلقة يوم القيامة.. عدا الكافرين.. فإنهم يبعثون (عميا وبكما وصما).. ويبعثون (زرقا).. ويبعثون وقد ﴿ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ (آل عمران: ١٠٦).. ويبعثون ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ ٤٠ تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ ٤١﴾ (عبس).. فإنهم كانوا في الدنيا منعمين.. مترفين يضحكون ويستهزؤون.. فكان جزاؤهم في الآخرة نتيجة أعمالهم في الدنيا..

توقفنا عند محل العصائر.. أقبل إلينا من يأخذ طلبنا.. طلب إليّ صاحبي الصمت..

ـ هلا.. زودتنا بكأسين من عصير المنجا الذي تسمونه (فخفخينا)..

أجاب الرجل: مبتسماً:

ـ سيأتيكما الطلب.. على جناح السرعة يا بيه!!

قلوب (١٠)

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر).

ـ عندما يقول الله ﴿ويل﴾، ينبغي على العبد أن يأخذ هذا التهديد مأخذ الجد؛ فالجبار، القوي، شديد العذاب، قالها سبعاً وعشرين مرة في كتابه.. كلها مخيفة.. وكلها كانت لذنوب تتبع من القلب القاسي..

كان صاحبي يحدثني عن كتاب قرأه عن أمراض القلوب.. عقبت على كلامه:

ـ عجيب أمر هذا القلب.. يلين.. فيبكي لأجل كلمة.. ويقسو.. فيكون أشد من الحجارة.. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾ (البقرة: ٧٤).

ـ ويذكر المؤلف أسباب قسوة القلب.. وسبل لينه.

ـ أعطنا أسباب القسوة واللين..

ـ بصراحة لا أذكرها الآن.. ولكن أذكر أن معظمها ذكر مع بني إسرائيل.

ـ صحيح.. ولكن العبرة ليست أنها لبني إسرائيل فحسب، فكل من عمل عملهم نال جزاءهم.. كما هي القاعدة.. مثلاً أول ما ذكرت قسوة قلوب بني إسرائيل كانت بمناسبة «تحايلهم» على أمر الله بذبح البقرة.. ثم ذكر السبب الثاني في سورة الأنعام.. بقوله عز

وجل: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الأنعام). ثم ذكر السبب الثالث في سورة الحديد ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الحديد) وجاءت هذه الصفة للقلوب في ثلاث آيات: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾ (المائدة: ١٣). وكذلك ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ (الحج). وقوله عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر).

- هلا وضعنا الأسباب بصورة نقاط.. ١، ٢، ٣.

- لنحاول ذلك.. **أول الأسباب**.. التهرب من أوامر الله والالتفاف عليها.. بطريق ظاهرها العمل على الوصول إلى الحقيقة وباطنها الرغبة في عدم تنفيذ هذا الأمر لأي سبب.. مثلاً لتجنب «الخسارة المادية» أو«الجهد البدني».. أو «فوات المتعة».. ومن ذلك من يحاول التملص من أوامر الله بدفع الزكاة.. أو «تحليل المحرمات» وغير ذلك..

والسبب الثاني.. التلاعب بأحكام الله واتباع الأهواء دون الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتباع الرجال دون الحق.. وهكذا فعل السابقون.. وضعوا كتبا ما أنزل الله بها من سلطان اتبعوها لأنها توافق أهواءهم.

والسبب الثالث: استغلال الدين للوصول إلى الدنيا.. سواء لنيل منصب أم لكسب مال.. أم لبلوغ جاه.. وغير ذلك.

وكل هذه الأسباب يمكن إرجاعها إلى القلب والنية والقصد..

كنت وصاحبي أول الموجودين في المسجد بانتظار صلاة القيام.. دخل أحدهم.. ألقى السلام.. أخذ الطرف الأيمن من الصف الأول.. كبر لتحية المسجد.. خفض صاحبي صوته.. لا يسمعه سواي.

- والعلاج؟!

- إزالة الأسباب.. في البداية يعودّ المرء قلبه على الاستسلام لأمر الله.. وقبوله.. والرضا به.. والعمل على تطبيقه.. بجهد مخلص.. دون (لف ولا دوران).. ومن هذا المبدأ الذي ينبغي أن يرجع إليه المرء كل حين يجدده.. ويقويه.. ويحييه كلما ضعف.. ويستعين في ذلك بـ «ذكر الله» دائماً.. وتجديد الإيمان بالآخرة.. وعدم الاغترار بالدنيا.. وربما يحتاج إلى صاحب يعينه على الخير.. حتى لا ينحرف من حيث لا يدري.. ولا ينسى دائماً دعاء الله.. حتى يلين قلبه.. لأن من قست قلوبهم «يتمردون».. حتى على أنبياء الله ورسله.. ألم يقولوا لموسى.. كما ذكر في القرآن الكريم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ (المائدة) وكانوا يعلمون أن موسى مؤيد من عند الله.. وأنه وعدهم بالنصر إن هم دخلوا القرية.. ولكنها قسوة القلب.. وهنا الفارق بين أصحاب موسى وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الشرك والمشرك	٧
لفظ (الكفر)	١٠
قواعد في توحيد الأسماء والصفات (١)	١٣
قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٢)	١٥
قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٣)	١٩
قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٤)	٢١
قواعد في توحيد الأسماء والصفات (٥)	٢٤
مسألة دقيقة في الأسماء والصفات	٢٧
الاختلاف في الأسماء والصفات (١)	٣٣
الاختلاف في الأسماء والصفات (٢)	٣٥
إحصاء الأسماء الحسنى	٣٨
أَوَ يضحك ربنا؟	٤١
المصور	٤٤
رفيع الدرجات ذو العرش	٤٧
ذو الجلال والإكرام	٥٠
يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث	٥٣
لا غنى لنا عن الله	٥٦
أعمال تغفر كل الذنوب	٥٩

موانع المغفرة	٦٢
والملائكة يستغفرون لنا	٦٥
بشرية النبي صلى الله عليه وسلم	٦٨
حب الرسول صلى الله عليه وسلم	٧١
العقيدة في الآنبياء	٧٤
كلام الله لموسى عليه السلام	٧٧
أدعية الأنبياء	٨١
الإيمان باليوم الآخر	٨٤
قيامتك يوم موتك	٨٦
رهبة الموت	٨٩
آشراط الساعة حقيقية	٩٢
الجنة حق والنار حق	٩٥
بماذا ترجو دخول الجنة؟	٩٨
الجنة خُلقت لنا	١٠٠
القضاء والقدر	١٠٣
آل البيت والصحابة	١٠٦
علي ومحمد صلى الله عليه وسلم سواء؟	١٠٩
أبوطالب وأبو إبراهيم عليه السلام	١١٣
عقائد فاسدة	١١٦
عشر رمضان.. وعشر محرم	١٢٠

أم المؤمنين عائشة رضي اللّٰه عنها	١٢٢
السجود نعمة	١٢٦
قالوا لم نك من المصلين	١٢٩
الحاج.. عبد الرشيد	١٣٢
لرمضان.. أحدثوا توبة	١٣٥
بدع رجب	١٣٧
حقيقة الدنيا	١٤٠
تخليد البشر للبشر	١٤٣
احرص على ما ينفعك	١٤٦
عندما تفقد عزيزاً	١٤٩
عمرك... كيف انقضى؟	١٥٢
قاتل نفسه	١٥٥
عجز الإنسان	١٥٧
الحجاب عبادة	١٥٩
لهذه الأسباب خلعت الحجاب	١٦٢
وإذا استنسخوا بشراً؟	١٦٥
نور العمل	١٦٨
نحن المخاطبون في القرآن	١٧١
أكره أمي	١٧٣
حب المال	١٧٦

الإيمان بالأحلام	١٧٩
الوسوسة من الشيطان	١٨٢
الشياطين تأكل وتتكاثر	١٨٥
العقيدة في الجن	١٨٨
الحدود	١٩٠
تصنيف الذنوب	١٩٣
النذر لا يأتي بخير	١٩٥
قلوب (١)	١٩٨
القلب المنيب	٢٠١
القلب الغافل	٢٠٤
الطبع على القلب	٢٠٧
تقلب القلوب	٢١٠
الإيمان في القلب	٢١٢
الكبر في القلب	٢١٥
طمأنينة القلب	٢١٨
عمى القلب	٢٢
قسوة القلب	٢٢٤